مغامرات

ارسين لوبين



بلانش تيل





القسم الاول
المفتش تيل

- ١ -

كان المفتش تيل جالسا فى مشرب للشاى يقع على مرمى حجر من ادارة سكوتلانديارد .

والحق ان هذا المشرب ينبغى أن يكون هدفا لهواة قذف الاحجار لما يبدو من بشاعة ستائره المزركشة على اسلوب انجليزى يقال ان العين ترتاح اليه . وان كان الواقع انها لا ترتاح الا اذا كانت مغمضة لا ترى .. !

على ان تيل انما كان يختلف اليه مدفوعا بحكم العادة التى لاتقهر .

* * *

فرغ تيل من احتساء قدحه .. وبسط احدى الصحف وراح يدير فيها عينيه .

ولكيلا تخدع القارىء ينبغى ان نقول ان اشد الناس تسامحا واستخفافا لا يمكن أن يرى فى جلسة تيل - بعد فراغه من تناول الشاى - اعلانا طيبا عن المشرب .. فتيل - بسبب كرشه الضخم البارز - لا يمكن ان يتخذه احد المصورين انموذجا لتمثال الربيع الضاحك المتوثب .

وهو فى هذه اللحظة بالذات ما كان ليتخذ انموذجا حتى لتمثال الخريف العبوس الغاضب . !

كان حاجباه منعقدين .. وفى ثنايا وجهه المكتنز المتضرج حمرة شحوب خفى .. أما بريق عينيه فكان يوحى بالم شديد محبوس .

ومجاراة للخيال . . والتماما للصورة التى رسمناها .. يمكننا ان نصف تيل فى هذه اللحظة بانه كان اشبه ببقرة

ضخمة تعانى أوجاع ضرس مؤلم .

وبعد لحظات نحى الصحيفة عن وجهه والقى بها على مقعد مجاور وراح يرسل بصره الى الفضاء فى نظرات حزينة متوجعة .

كان الوقت بعد الظهر احد ايام الآحاد .. وفى مثل هذه الساعة يكون المشرب خاليا الا من تلك الجرسونة المنزوية فى احد الاركان تطرز صدرية من الصوف ذات لون اصفر فاقع تبهج العين .

وفى ركن آخر .. وعلى طاولة صغيرة . يقوم جهاز الراديو يرسل نوعا من الموسيقى لا تألفه الاذن .. ويصغى اليه تيل فيشتد عذابه ولولا بقية من قوة الاحتمال لمزق شعره . . ولعله كان يترقب فى هذه اللحظة قدوم من ينقذه من هموم الدنيا .

وفعلا جاء احد الاشخاص .. ولكنه لم يأت لينقذ تيل من هموم الدنيا . !

فى حركة عنيفة فتح الباب .. ثم صفق فى حركة اشد عنفا .

واهاجت الضجة اعصاب تيل فاشتد عبوس وجهه .. واذ اخذت عيناه القادم اغمضهما فى الم وتوجع وهو يقرض على اسنانه .

لم يكن هناك ريب فى ان مستر وليام كيندى هو احب مساعدى الادارة الى زملائه لما طبع عليه من المرح والدعابة والميل الى المزاح ولكن لا ريب ايضا فى ان تيل وهو على مثل هذه الحال ما كان ليطيب له ان يرى هذا المهذار الضحوك .

وفى صوت دوى فى أرجاء المشرب كأنه هزيم الرعد صاح كيندى يخاطب تيل :

- هالو .. ! كيف حالك يا سيدى العزيز .. !

ثم حدق فى وجهه بنظرة مفترسة وقال :

ـ ماذا بك ياصديقى .. ؟ انك تبدو اشبه شىء بيضة قديمة مضى عليها فى مخازن التاجر سبع سنوات . ! ماذا تفعل .. ؟ العلك تفكر فى ارسين لوبين . ؟

واجفل تيل كانما مسه تيار كهربائى .

كان يتوقع من كيندى شر الامور .. ولكنه لم يكن يتوقع هذا .. ! واذا كان هناك شىء يمكن ان يقال ليغيض عذابه وليدفع به الى اقصى حد من الالم ـ فقد قيل هذا الشىء فعلا .. !

وكان تيل بالقلات سحنته فى هذه اللحظة اشبه برجل يبحث عن بقعة هادئة منعزلة يلفظ فيها انفاسه الاخيرة .

انه لا يسمع اسم ارسين لوبين الا فقد اتزانه وهاجت اعصابه والقلب كالثور الهائج لا يعى ما يقول او يفعل .

فى ادارة سكوتلانديارد عشرات من مفتشى البوليس السرى . ولكن الاقدار الساحقة .. الاقدار التى لا ترحم ولا تلين .. ابت الا ان تصطفى تيل دون الخلق جميعا ليكابد هذه المحنة .. هذه التجربة القاسية .. !

اختير دون سواه ليطارد ارسين لوبين .. ! او بعبارة اصح . اختير ليكون سخرية العالم واضحوكة الناس .

ما من فجيعة حلت به فى هذه السنين الاخيرة .. وما من لوم وجه اليه .. وما من حملات صحفية استهدف لها .. الا كان ارسين لوبين هو السبب فيها .. !

هذا المغامر الجرىء .. القدير .. المفلات .. هو مثار تكباته . هذا الرجل الذى يلقى الكلمات الضاحكة فيكون لها وقع اشد من السهام هو مصدر كل ما حل ويحل به من انفعالات واضطرابات عصبية .

ما من مرة ظن فيها انه يوشك ان يظفر بلوبين الا الفى

الرجل امامه هازئا ساخرا يمد يديه للقيد .. وتيل عاجز عن عن أن يأخذه لانه يفتقر الى الدليل .

لقد اصبح تيل الآن يعتقد ان اقتناص ارسين لوبين احد المستحيلات التى ينبغى أن يتغنى بها الشعراء .

ومن اجل ذلك كان يحس من ترديد اسمه فى سمعه كان سياطا تنهال عليه وتمزق جسده .. !

هذا الاسم هو رمز الهزيمة الشاملة .. !

وكان زملاؤه يعرفون عنه هذا .. كلما راوه حزينا .. او شارد الذهن .. أو كلما قراوا فى ثنايا وجهه سمات الالم . قالوا انه يفكر فى ارسين لوبين .. !

وقلما اخطاوا فى هذا .. !

ولكن وليام كيندى كان الان مخطئا حين رمى تيل بانه كان يفكر فى لوبين .. واهاجته هذه التهمة فصاح فى نبرات مكظومة .

ـ كلا يا سيدى .. انى لم اكن افكر فى ارسين لوبين !. انى لم القه منذ اسابيع .. ولست ادرى ما يفعل الآن .. ! ومع ذلك فلست ابالى بما يفعل .. ! نعم .. لست ابالى .. !

فرفع كيندى حاجبيه وقال :

ـ آسف يا سيدى العزيز .. لقد ظننت وانا انظر الى سحنتك ..

فقال المفتش مزمجرا :

ـ الا تعجبك سحنتى الدميمة يا سيدى .. ؟

وطاب لكيندى ان يثير تيل فقال :

ـ الدمامة هى فى الواقع اصدق وصف ينطبق على سحنتك .. انها متقلبة كانما هوى عليها احد اللاكمين بالمطارق . ! فخبرنى عما بك .. ! هل عنفك المدير لاخفاقك فى اماطة اللثام عن عصابة الجواسيس . !

وكان فى وسع تيل ان يتغاضى عن هذا التعريض .. الا انه حقا لم يتقدم خطوة واحدة فى قضية الجاسوسية ولكن المدبر لم يعتقه بعد .. ! واذا عتقه فلن يزيد الامر عن انها قضية خائبة تضاف الى سواها .

ولكنه كان حزينا متوجعا لسبب آخر .. كان مصابا بعسر هضم شديد .. ! كان كان فى معدته سياطا لاذعة لها شعب من الحديد محمى فى النار ..

منذ اسابيع بدات العوارض الاولى لعسر الهضم .. فلم يحفل بها .. ولكنها ما لبثت ان اشتدت حتى انقلبت آخر الامر الى الام لا تطاق يحس بها كلما فرغ من طعام .

ولما كانت معدة مستر تيل تشغل الحيز الاكبر من جسمه فلنا الان ان نتصور مبلغ الامه . !

جعلته هذه الآلام ضيق الصدر قليل الحلم شديد الوطاة على كل من يحتك به .. نهاره اوجاع وعذاب .. وليله ارق وسهاد .. حتى لقد خيل اليه ان آخر ليلة استمتع فيها بنوم هنىء انما كانت منذ اجيال واجيال .

وفى الوقت الذى يكابد فيه هذه النكبة يذكره كيندى بذلك الشيطان ارسين لوبين . !

وتحت الجرسونة الصخرية التى كانت تطرزها واتت لتسال كيندى عما يبغى فقال :

ــ شاى .. شاى كثيف ونصف طن من البسكويت .

واغمض تيل عينيه وقرض على اسنانه مرة اخرى اذ شعر بنوبة من الالم فى امعائه .

وانبعثت المقطوعات الموسيقية المنطلقة من الراديو وسمع صوتا يقول :

« ومن مميزات هذا الشاى العجيبة انه لا يزيل عسر الهضم بصفة مؤقتة وانما هو علاج مستديم ..! وفى كل يوم

تصلنا شهادات لا حصر لها .. »

وصاح تيل فى انفعال :

ــ من اية محطة يذيع هذا الثرثار ..!

فقال كيندى :

ــ من محطة راديو كالفاروس .. احدى المحطات الحديثة . ان محطة الاذاعة الامبراطورية تابى الا ان تذيع فى يوم الاحد عظات دينية او موسيقى تصدع الرؤوس .. اما هذه المحطة الحديثة فلا ترى فى تقاليدها ما يحول دون الاعلان على الاسلوب الامريكى .

واستطرد المذيع يقول :

« شاى ميراكل كما يدل اسمه هو شاى المعجزات ..! لا تنسوا هذا الاسم ..! شاى ميراكل ..! يباع فى الصيدليات الكبيرة ومخازن البقالة .. او اطلبه مباشرة من شركة شاى ميراكل رقم ٩٠٩ بشارع فيكتوريا بلندن .. اشرب الليلة قدحا من شاى ميراكل .! والآن سنختم هذه الاذاعة بانشودة الشاى » .

وشد تيل بيده على بطنه وقال فى وحشية :

ــ شاى ميراكل ..! تبا لهم ..! كان من الممكن ان يكون الشاى دواء لعسر الهضم .. ! تبا لهم !

وحملق فيه كيندى .! لقد القى كلمة « تبا » كمن يقول :

ــ اليس هناك دواء جدى لسوء الهضم ؟ .

وقال كيندى :

ــ اذن فهذا هو السر ..! لقد اميط اللثام عن اللغز الغامض . اذن فانت مصاب بعسر الهضم .

ــ انى لم اقل ان ...

فضحك كيندى ولم يقل شيئا .

وفتح الباب مرة اخرى ودخل المفتش يبترز مساعد

كيندي وبده اليمنى .

وقال بيترز معتذرا وهو يستوى على احد المقاعد :

ـ يؤسفنى انى تأخرت يا سيدى .. ان الرجل ..

فقال كيندى مقاطعا :

ـ دع الرجل وشأنه الآن . فلدينا ما هو اخطر من ذلك . ان تيل مصاب باضطرابات معوية .. سوء الهضم ..!

فقال بيترز ناصحا :

ـ عليك اذن بشيء من بيكربونات الصودا .

ـ هذا اذا كانت الاعراض بسيطة .

وجاءت الجرسونة تحمل الشاى والبسكويت فمال فوق قطعة يلتهمها .

ثم قال : لقد لاحظت تجهمه منذ ايام طويلة .. ولكن ما خطر ببالى انه مصاب بعسر الهضم . كنت كلما رأيت الاعراض اظن انه يفكر فى ارسين لوبين .

ـ اتعنى تقلصات العضلات ..؟

ـ بل اعنى شحوبه واصفرار وجهه . ان من يراه يحسب انه قد اشرف على الموت ، و ...

فصاح تيل مقاطعا :

ـ كفى . كفى سخفا .

فاستطرد كيندى وهو يتظاهر بالرثاء :

ـ انى التمس له عذراً .. انه ضيق الصدر .. وهذا ناشيء من تراكم الاحماض فى معدته .. وهذه الاحماض هى بداية النكبة . تتراكم الاحماض حول المعدة .. يوما بعد يوم .. والنتيجة ..؟ تتكون طبقة كثيفة من الاحماض .. فهل تدرى ما يحدث عندما تسرى هذه الاحماض فى الاوعية الدموية وتفتك بكريات الدم ..؟

فقال بيترز متسائلا :

ـ يشحب اللون طبعا ؟

ـ تماما .. الى ان يأتى يوم لا ينقذ فيه تيل من عذابه الا ان ننقل اليه كمية من الدم .. او ان يموت .

وكان تيل يصغى الى هذا الحديث وهو يوشك ان ينفجر غيظا .

واسترسل كيندى قائلا :

ـ على ان النكبة الكبرى هى ان هناك رواسب تتخلف من الطعام بسبب الاحماض فترسب فى الامعاء وتؤدى الامر اخيرا الى اجراء عملية خطرة جدا بالنسبة الى تيل نظرا لبدانته .

وتقبضت اصابع تيل على حافة المنضدة .. وتمنى لو انه ولد اصم لا يسمع .

وزاده توجعا وغضبا ان ذكره حديث كيندى بان ارسين لوبين هو اول من تجاسر على اتخاذ كرشه وملحقاته هدفا لتهكمه وغمزاته .. وسيجد زملاؤه فى عسر الهضم الذى اصيب به مادة جديدة لسخريتهم .

قد يصاب تيل بأوجاع الضرس فيجد من يرثى له .. وقد يصاب بصداع فيجد من يشفق عليه .. اما اذا كان الامر متعلقا بكرشه وملحقاته فلن يجد الا الهزؤ والسخرية .

ولم يطق تيل صبرا ..

انبعث واقفا وقال وهو يتظاهر بالهدوء :

ـ انى منصرف .. اذ لدى عمل يشغلنى هذا المساء .

فقال كيندى وهو يودعه :

ـ ولا تنس بالله عليك ...

ـ ماذا ؟

ـ قدحا من شاى ميراكل قبل النوم .. انه مفيد للكرش اعنى لسوء الهضم .

واتخذ سبيله فى شارع فيكتوريا متجها الى داره .

لم يكن لديه عمل يشغله فى هذا المساء كما زعم .. ولو ان لديه عملا لما استطاع ان يزاوله وهذه السياط تمزق معدته .

سار وهو يفكر فيما سمع من حديث المذيع .. شاى ميراكل يشفى اضطرابات المعدة . يباع فى جميع الصيدليات ومخازن البقالة او يطلب من مركز الشركة فى شارع فيكتوريا .

شارع فيكتوريا ..! انه الآن يسير فى نفس هذا الشارع .

وبحركة غير ارادية ارسل بصره يديره هنا وهناك .

وفجاة اخذت عينه تلك اللوحة التى اعتاد ان يراها منذ شهرين .

والمفتش تيل ليس بالرجل الضعيف الارادة .. ولكنه فى ذلك الوقت لا يمكن ان يعد مسؤولا عن تصرفاته .. انه كالغريق الذى يتلمس الوسائل للنجاة .

كل الوسائل .. هذا الشاى علاج لعسر الهضم .! ولو قيل له الآن ان السم علاج لما تردد فى تناوله ..! فلم لا يشترى علبة من شاى ميراكل ..؟

وفى حركة غير ارادية عرج على مقر الشركة وعبر المدخل واقترب من الطاولة وقال للبائع :

ـ لفافة من شاى ميراكل .

وقد القى هذه الكلمات فى صوت خافت كأنه يسأل الرجل لفافة من المخدرات .. وما فعل ذلك الا شعورا منه بالخجل لايمانه بالاعلانات .

والقى على الطاولة ثلاثة شلنات .

وتردد البائع هنيهة .

ثم استدار وتناول من فوق رف خلفه لفافة مستطيلة صفراء اللون . وتحول الى تيل .. ولكنه لم يسلمه اللفافة

.. وانما وقف مترددا مرة اخرى كأنما لا يطاوعه قلبه على مفارقة اللفافة .

ثم قال : نعم يا سيدى ؟

فصاح تيل وقد امتلأت حيرته :

ـ ماذا تعنى بقولك نعم يا سيدى ..؟ الم اقل لك انى اريد لفافة من شاى ميراكل ؟

فقال البائع : اليس هناك شيء آخر ياسيدى ..؟

فصاح تيل : كلا .. ليس هناك شيء آخر سوى ان تاخذ الثمن وتعطينى هذه اللفافة ..!

وفى حركة غاضبة مد تيل يده وانتزع اللفافة من يد البائع ودسها فى جيبه .. وانصرف وهو يزمجر ساخطا .

وفى اللحظة التى بلغ فيها باب المتجر كان هناك عميل آخر يجتاز المدخل داخلا .

ولسبب ما اشاح العميل بوجهه قليلا وستره بمنديله حين وقع بصره على تيل .

ولكن تيل كان من الغضب والانفعال بحيث لم يفطن الى الرجل .

غادر المتجر مسرعا وهو يرجو ان لا يكون هناك من رآه وهو يبتاع شاى ميراكل .

وبعد خمس دقائق تحول تيل عن شارع فيكتوريا الى شارع جانبى ضيق يفضى الى مسكنه .

كانت ظلال المساء قد بدات تمتد وتنتشر .. واخذت الارض ظلمة الغسق .

وكان الطريق خاليا .. ساكنا . لا تسمع فيه الا وقع خطوات تيل الثقيلة وهو ماض الى داره على مهل .

وفجاة سمع وقع خطوات اخرى .

خطوات خفيفة . سريعة .. قادمة فى اثر تيل .

وكان الامر عاديا لا يثير الشبهات .. ولا يحمله على ادارة راسه .

وحين صارت الخطوات الخفيفة خلف تبل تماما .. ارتفعت يد في الهواء ..

وكانت في اليد هراوة من المطاط المضغوط .

ثم هبطت الهراوة فوق راس تبل . في ضربة عنيفة .

وترنح الجبل .. ثم هوى على الارض .. وقد غيبته غيبوبة من ظلام دامس .

— ٢ —

كان لارسين لوبين في المفتش تبل رايان متناقضان .

فهو تارة موقن من أن الحياة جديرة بان تفقد نصف بهجتها اذا لم تتهيأ له الفرصة لمداعبة تبل واحباط الشراك التي لا يفتا ينصبها لاقتناصه . وتارة اخرى يشعر بان الحياة لو خلت من تبل لكانت اهون واسهل واقل مشقة .

في بعض الاحيان يداخله اسى شديد كلما ذكر ما انزل بالمفتش تبل من هزائم متتالية . ويدركه الرثاء له اذ جعله اضحوكة العالم وقد يتمنى لو انه تهاون مرة فمكن الامر ومكن تبل من نفسه وفي احيان يخيل اليه ان ليس ثمة ما هو امتع واشهى الى نفسه من ان يتناول هراوة من المطاط فيهوى بها على راس تبل .

ومهما يكن من امر فان من المؤكد ان ارسين لوبين ما فكر يوما في ان يخرج الى حيز التنفيذ هذا الخاطر الذي يطوف بذهنه احيانا .. فما تربص لتبل وما ابتاع الهراوة .. بل انه ما كان ليسمح لاى كان بان ينهال فوق راس تبل بمثل هذه الهراوة .

وفي اللحظة التي هوجم فيها تبل في الشارع الجانبي المظلم واستقرت الهراوة على راسه — كان لوبين يمر بسيارته

في مفرق الطرق وقد راى الحادث .. فلم يتردد في ان يعرج بسيارته على الشارع المظلم . ثم يوقفها على قيد خطوات من المفتش تبل الذي كان ممددا على الارض كانما هو جبل قد انهار .

وكان المعتدى قد انحنى فوق تبل يبحث في جيوبه .

ولكن صوت الفرامل نبهه مما كان فيه فرفع راسه .

واذ راى السيارة تقف على قيد خطوات ارتسمت في عينيه نظرة خوف وفزع .

وتردد الرجل هنيهة . كانما يزن موقفه ويسائل نفسه عما اذا كانت الحكمة تقضى عليه بالفرار ام اولى به ان يصمد ويناضل .

ولكنها كانت هنيهة خاطفة اذ ما كاد يرى لوبين يثب من السيارة بقوامه الرياضي .. ومشيته المتحفزة — حتى انطلق يجري ملء سرعته .

وفي اثره كان لوبين .

وفي هذا الوقت لم يكن لوبين يدرى ان المفتش هو هدف هذا الاعتداء .

كل ما عرف من الامر ان لصا اعتدى على احد المارة وان واجبه بصفته مواطنا شريفا . يقضى عليه بان يخف الى نجدة المصاب .

ولكنه اذ انطلق في اثر الرجل .. كان لابد ان يدور حول الجبل المستلقى على الارض ليشق لنفسه طريقا .. وحانت منه لفتة وراى وجه تبل .

واذهلته الدهشة المفاجئة فجمد مكانه لحظة خاطفة .

ولكن هذه اللحظة الخاطفة كانت هى الحد الفاصل بين النصر والهزيمة ..! في هذه اللحظة استطاع المعتدى ان يتقدم لوبين بخطوات وبهذه الخطوات بدا مستحيلا على لوبين ان

يحق به .

وقال لوبين لنفسه :

ـ من العبث أن استمر في المطاردة .

ومال فوق المفتش تيل ليرى ما احدثت الهراوة براس عدوه المحبوب .

وكانت نظرة واحدة كافية لان يدرك ان الاقدار لم تشا بعد أن تحرمه من « بهجة » حياته . وكل ما في الامر ان تيل استهدف لغيبوبة عميقة ولكنها لن تطول .

ولم يغب عن لوبين أن من الحماقة ان يرى وهو واقف على هذا النحو الى جانب تيل الغائب عن الوعي والا اخذته التهم من كل جانب ولرمي بانه المعتدي الاثيم .

على ان من الوحشية ايضا ان يدع تيل مكانه على قارعة الطريق .. ومهما قيل في لوبين فهو لا يمكن ان يكون وحشا .

ودار لوبين بعينيه فيما حوله . لم تفتح نافذة واحدة . ولم يخرج انسان من احد الابواب . وكان الشارع على عهده خاليا من السابلة تشتمله ظلمة الغسق .

وهز لوبين كتفيه .

لم يكن هناك فيما يبدو الا شيء واحد يمكن ان يفعله ..

وما تردد لوبين في عمل هذا الشيء بساعديه القويين حمل تيل الغائب عن الرشد ووضعه في السيارة . ثم تناول معطفه الملقى على الارض وقبعته ووضعهما في السيارة الى جانب صاحبيهما . كما وجد على الارض لفافة طويلة صفراء اللون لا شك انها سقطت من جيب تيل فتناولها ايضا . ثم استوى امام عجلة القيادة . وبعد لحظات كانت السيارة قد تابعت سيرها .

ولم يكن لوبين مخطئا فيما اعتقده من ان الضربة التي اصابت تيل هينة وانه لا يلبث ان يستفيق من غشيته ..

وفعلا ما كادت السيارة تقف ببابه حتى بدأ تيل يتحرك ويتوجع واشعل لوبين سيجارة ونظر الى تيل في لوم وعتاب وقال :

ـ انى خجل لك يا صديقى .! اتكون كهلا طاعنا في السن ثم تبيح لنفسك الافراط في الشراب الى درجة تفقد معها الوعي فتنام على قارعة الطريق ..! وادهى من هذا ان تسكر في غير الاوقات المرخص فيها بفتح الحانات فليت شعرى من اين جئت بالشراب ؟

وفي صوت ضعيف خافت غمغم تيل يقول :

ـ هيه ..! اذن فانت الفاعل ..؟

فقال لوبين في استغراب :

ـ الفاعل ..؟ عفوا .. ماذا تعني ياسيدى ..؟

فصاح تيل وقد بدا يستعيد حواسه . وزمجرته :

ـ بالله ماذا عنيت بهذا .؟

ـ باى شيء .؟

ـ تعقبى وضربى على راسى ..! اذا ظننت انني قد أغضى عن فعلتك فانت ..

فقال لوبين مقاطعا :

ـ تيل .! هل معنى هذا انك عدت توجه الى من جديد اتهاماتك التي لا تنتهى .؟

واتسعت حدقتا تيل واحمرت عيناه غضبا وقال :

ـ اتنكر ..؟

ثم عمد الى السخرية . ولكنه لم يكن مالكا اعصابه فكان في سخريته يزعق ويصرخ قائلا :

ـ نعم . انى اعرف انك برىء .! ان الذى اعتدى على رجل هبط فجاة من السماء متعلقا بالبراشوت .!

فتنهد لوبين وقال :

ـ لا احب يانبل ان اخيب رجاءك . ولكن هل لذلك المخ الذى يقال انه موجود فى جمجمتك ان يخيب رجائى مرة فينشط من عقاله ويفكر . ما الذى يجعلنى احاول اليوم ان اعتدى عليك واضربك بالهراوة على راسك .؟ اننا لم نلتق منذ اسابيع . ولم يشجر بيننا اى خلاف فى الايام الاخيرة. ولست اعرف انك حاولت اثارة غضبى . وهبك فعلت . وهبنى داعبت راسك بهراوتى . فهل تعتقد ان الحماقة تبلغ بى درجة تجعلنى احملك فى سيارتى الى دارك .؟ وهبنى جئت بك الى دارك فما الذى يحملنى على الانتظار حتى تستفيق وترانى .؟ اما كان اولى بى ان ابادر الى الفرار قبل ان يتاح لك فرصة تعرف فيها اننى انا الذى اعتديت عليك ..؟ اسمع يانبل . حكم عقلك مرة واحدة فى حياتك تدرك الحقيقة .

وفرك نبل موضع الضربة ثم قال :

ـ اذن ما الذى جرى .؟

ـ لست ادرى على وجه التحقيق . بينما كنت اجتاز الطريق بسيارتى لمحت رجلا يهوى على راس آخر بهراوة ضخمة . وقد خطر لى ان ادعوه الى تناول قدح من الشاى معى تكريما له بمناسبة فعلته . ولكنه انطلق هاربا . فما كان منى الا ان سحبتك فى سيارتى وجئت بك الى دارك . فاذا كان عملى قد اغضبك فانى على استعداد لان اعيدك الى حيث كنت من قارعة الطريق لتنام ملء جفنيك .

ونظر الشرطى السرى فيما حوله . كانت الغيوم الكثيفة قد بدات تنجلى عن راسه . وبدا يدرك ان هذه النكبة التى نزلت به لا تمت الى ارسين لوبين بسبب ومع ذلك فلم يبدد شعوره هذا غضبه وقال متسائلا :

ـ الديك فكرة عمن يكون صاحب هذه الفعلة .؟

ـ هذا سؤال عويص ياصديقى . ومهما بلغ من ذكائى فلن استطيع ان اشبع فضولك . ولكن لا احسب انه يغيب عنك ان لندن تعج بمئات يتمنون ان يداعبوا راسك بهراواتهم.

فقال المفتش مزمجرا :

ـ وكيف كانت هيئته .؟

ـ لا يسعنى يانبل ان ارسم صورته . فقد كان الضوء خافتا ضعيفا وكل ما يمكننى ان اقوله انه متوسط الطول متوسط القامة عظيم الوجه .. ومما يؤسف له انى لا املك ان ادلى ببيانات قاطعة .

فزمجر نبل هنيهة ثم قال :

ـ شكرا على اية حال .

وقد القى عبارة الشكر فى لهجة من يكره ان ينطق بها . كانما ساءه ان يكون للوبين فضل عليه . انه والله ليؤثر ان يصاب بعسر الهضم طول حياته على ان يكون لوبين قد اسدى اليه يدا .

وذكرته هذه المقارنة بما كاد ان ينسى فى محنته الجديدة. ذكر معدته وعسر الهضم ..؟

كان منذ ساعة يشكو سوء الهضم . والآن يشكو صداعا يكاد يحطم راسه .

انه بلا ريب اشقى رجل فى الارض .

وفتح نبل باب السيارة . وتناول معطفه وقبعته وهبط وهو يقول :

ـ طاب مساؤك .

فقال لوبين فى ابتهاج :

ـ طاب مساؤك . انك تعرف اين اقيم . فاذا احتجت يوما الى حارس يسهر على راسك من الهراوات فلا تتردد فى مخابرتى .

ولم يتنازل تيل بالرد .

عبر الافريز .. وفى خطوات مترنحة ارتقى الدرج المفضي الى بيته ففتح الباب ودخل دون ان يلقى الى الوراء بنظرة واحدة .

وتابعه لوبين ببصره ثم استغرق فى الضحك وانطلق بسيارته الى حيث كان على موعد .

ان الحادث الذى وقع ليس شاذا عجيبا . ففى لندن مئات يتقمون على تيل مطاردته لهم . ويتمنون لو انهم ثاروا لانفسهم منه . ولكن العجيب المضحك هو ان تصطفى الاقدار ارسين لوبين بالذات ليكون شاهدا على الحادث . وليمد يده الى نجدة خصمه القديم .

وبعد ساعتين اودع لوبين سيارته جراج داره فى كورنول

واذ هم بمغادرة السيارة اصطدمت قدمه بشيء ملقى فى ارضيتها . انه اللفافة الصفراء التى سقطت من جيب تيل على قارعة الطريق فالقاها لوبين الى جانبه عندما نقله الى السيارة لقد نسيها تيل عند انصرافه .

تناول لوبين اللفافة . وقرأ البطاقة الملصقة عليها .. ثم تنهد وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة .

اذن فالشرطي العظيم مصاب بعسر هضم !

هذا سر جديد يمكن ان يتخذ منه لوبين هدفا لمداعبة تيل فى الايام المقبلة .

وراح يقرأ كلمات الدعاية المبالغ فيها المطبوعة على غلاف اللفافة .

وفجأة طاف بذهنه خاطر جديد .. ان هذا الشاى مهما بلغت مزاياه لايمكن ان يكون علاجا شافيا لسوء الهضم .. وكل ماق الامر انه لن يعدو ان يكون مسكنا او ملطفا .

وكم تكون الصدمة شديدة الوقع على تيل لو ان شاى

هيراكل لم يشف اضطرابات معدته .

ان تيل عزيز عنده .. ومهما كان بينهما من مشاحنات او مداعبات فى الماضى . فانه لا يطيق ان يراه فريسة لسوء الهضم . فلم لا يضيف الى الشاى دواء يفيد حقا فى ازالة هذه الاضطرابات المعوية .

وعول على ان يفض اللفافة فى حرص وحذر . فيضيف الى الشاى مزيجا من مسحوق الكالوميل ومسحوق السامكى ثم يلصق الغلاف كما كان ويبعث به الى تيل .

وصعد لوبين الى مسكنه .

وفض غلاف لفافة الشاى بطريقة فنية حتى اذا اعاد الصاقها لم يفطن تيل الى حقيقة ما حدث .. فاذا احتسى قدحا من الشاى ظن انه حقا معجزة فى شفاء الاضطرابات المعوية .

فض لوبين الغلاف الخارجي .. واخذت عينه غلافا ثانيا مفضضا ! وفضه بدوره . فاذا ورقة بيضاء . ومنها اخرج ورقة مطوية صغيرة ثم ثالثة . وهكذا حتى اصبحت المنضدة مغطاة بهذه الاوراق البيضاء المطوية .

ولكن لم يكن فى اللفافة اثر للشاى .

عجب لوبين للامر وقال لنفسه :

– يحتمل ان تكون كل ورقة من الاوراق المطوية محتوية على جرعة من الشاى .

وتناول احدى هذه الاوراق وفضها .

وفجأة جمد فى مكانه واتسعت حدقتاه ودهشتا .

من الورقة البيضاء المطوية لم يخرج جرعة من الشاى وانما اخرج ورقة بنكنوت قيمتها خمسون جنيها .

– ٣ –

هز لوبين رأسه وقال لنفسه :

– شاى هيراكل .. حقا انه شاى المعجزات .

وكان في اللفافة ثلاثون ورقة من اوراق البنكنوت قيمتها الف وخمسمائة جنيه .. اوراق صحيحة غير زائفة .

وسمع خطوات خفيفة وراءه ووضعت باترتشيا هولم يدها على كتفه وقالت : لم اكن اعلم انك عدت يابني .

ثم امسكت عن الكلام .. وشعر لوبين انها وقفت جامدة وبعد توان قليلة سمعها تقول : ماذا فعلت يابني .. هل اغتصبت صندوق توفير احد الاطفال ؟

فضحك لوبين وقال : بل هذا مبلغ تبرع لي به احد الاصدقاء ..

ـ كفى تضليلا .. اخبرني .. متى يحين وقت اعتقالك؟ وما هي التهمة التي ستوجه اليك هذه المرة ؟ السطو على احد البنوك ؟

فابتسم لوبين في وجهها وقال :

ـ التهمة في هذه المرة شرب الشاي .. ومن الان فصاعدا سأتخذ الشاي مشروبي الوحيد .

ـ كفى مزاحا .. حدثني بالحقيقة .

ـ تلك هي الحقيقة .

ومد اليها يده باللفافة .. فالقت عليها نظرة فاحصة ثم قالت : قص على ما حدث .

وروى لها القصة كما وقعت .

ثم قال يختم حديثه :

ـ والان ها قد عرفت من الامر مثلما اعرف فماذا ترين؟ ان الامر لم يتسع لي بعد للتفكير فيما حدث .

وتناولت باترتشيا احدى اوراق البنكنوت ونظرت فيها وقالت : اهي اوراق صحيحة ؟

ـ هذا لاريب فيه .

ـ الا يجوز أن تكون هذه الاوراق هي ما ادخره تيل

طول حياته ؟

ـ يجوز .. ولكن لتيل حسابا جاريا في البنك فلم يودعه ما يدخر .. هذا الى انه غير معقول ان يودع امواله لفائف الشاي .

ـ ربما كانت هذه الاوراق دليلا في احدى القضايا التي يتولى تحقيقها .

ـ ربما .. ولكن للمرة الثانية .. ما الذي يدعوه الى وضعها في لفافة شاي ؟

وجعل لوبين يقلب اللفافة بين يديه ثم قال :

ـ قبل ان افض غلافها كانت ملصقة باحكام . ولا احسب ان يدا عبثت بها .. فما الذي يحمله على احتمال كل هذه المشقة والاخذ باسباب الحرص والحذر .. وهبي انها كانت دليلا في احدى القضايا فلماذا يمضي بها الى داره .. وكيف عرف ان في اللفافة دليلا قبل ان يفضها .. ؟ فاذا كان لا يعلم من امر المحتويات شيئا فالمفروض ان يسارع الى فض اللفافة امام الشهود .. واذا كان يعلم بما فيها فما كانت به حاجة الى ان يذهب بها الى داره .. واذا فرضنا انه كان يعرف ما يحمل لما كانت به حاجة الى التساؤل عن الدافع الى الاعتداء عليه .. كلا اني اعتقد يا عزيزتي أن صديقنا تيل لا يدري من سر هذه اللفافة شيئا .

فقطبت بات جبينها هنيهة ثم قالت : ايحتمل ان يكون هذا المبلغ رشوة قدمت اليه بهذه الطريقة السرية درءا للشبهات ؟

ففكر لوبين برهة ثم هز راسه نفيا وقال :

ـ قد يمكن أن تلصق بتيل كل تهمة ممكنة .. ولكن يستحيل علينا ان نطعن في نزاهته .. قد يكون مثارا للمضايقات ولكنه فوق مستوى الشبهات .. وهناك مسألة

اخرى : او انه كان يعرف ان فى جيبه الفا وخمسمائة جنيه لم أعتدى عليه بهذا الشكل . لكان اول ما يفعل عندما يستفيق ان يتحسس جيبه ليطمئن الى ان كنزه لا يزال سليما ولم تمسسه يد ولكنه لم يفعل شيئا من هذا .

– يحتمل انه اراد ان يضللك فلم يتحسس جيبه .

– اذا كان قد عرف ان شيئا ثمينا فقد منه لما سهل على ان اقنعه ببراءتى .. ولقبض على فورا وفتشنى فى الحال ليسترد كنزه .

وهزت باتريشيا كتفيها فى يأس وقالت : يلوح لى انك على صواب .. فعليك ان تلتمس للسر تفسيرا آخر .

واشعل لوبين لفافة تبغ جذب منها عدة انفاس ثم قال:

– لست اكتمك انى فى حيرة لا اجد منها مخرجا .. على انى استطيع ان اقول عن يقين ان تيــل لا يدرى من سر اللفافة شيئا .. انه يعانى عسر هضم شديد فابتاع لفافة من هذا الشاى ليتخذ منه علاجا لدائه وقد اخطأ البائع فسلم تيل هذه اللفافة التى اعدت لسواه وما كاد تيل يغادر المتجر حتى جاء صاحب اللفافة الحقيقى وانكشفت الغلطــة التى ارتكبها البائع . فانطلق الرجل واحد اعوانه فى اثر تيـل ليسترد اللفافة الذهبية .. وقد داعبه بالهراوة ومال فوقه يفتشه فى اللحظة التى وصلت فيها الى مكان الحادث وخففت الى نجدة تيل . فلم يسع الرجل الا ان يفر هاربا .. وقد نقلت تيل وحوائجه الى سيارتى ولما استفاق لم يكن يشغل ذهنه الا التفكير فى سر هذا الاعتداء فنسى عسر هضمه ولفافة الشاى فظفرت بها .. وانها لشيء يستحق ان يظفــر به الانسان .

وكانت عينا ارسين لوبين تتألقان . لم يكن فيهما بريق الابتهاج بوقوعه على هذه الثروة فما كان لوبين ليحفل بألف

من الجنيهات ولكنه بريق المغامرة .. كان موقنا من ان هذه اللفافة مفتاح لمغامرة شائقة ستتمخض عنها الايام .

وما كانت باتريشيا وهى تنظر اليه فى حاجة الى ان تعلم ما يدور فى ذهنه .

وقالت تسائله فى هدوء : ولكن ما هو سر اللفافة ؟

– هذا ما يستحق ان يكتشف !

ولم يكن فى حاجة الى ان يقول لها انه اعتزم ان يكشف هذا السر فتلك من البديهيات المتفق عليها .

ومال لوبين فوق المنضدة فى نشوة ظاهرة وقال مستطردا:

– ليتنى استطيع ان اشهد ما يجرى الان فى متجـــر الشاى : صخب .. وهياج .. وشتائم والبائع المسكين يحاول ان يدافع عن نفسه .. لاشك انه مشهد طريف يستحق المشاهدة .

وقد صدق لوبين انه مشهد طريف يستحق المشاهدة

* * *

هناك فى المتجر الذى ابتاع منه المفتش تيل لفافة الشاى ثارت العاصفة .

مستر هنرى اوبسيت هو صاحب مخازن العقاقير الكائنة فى شارع فيكتوريا رقم ٩٠٩ وهو فى الوقت ذاته مدير شركة شاى ميراكل .

انه رجل طويل القامة نحيف يمتاز بشاربين طويلين يعنى بهما ويضفيان عليه مظهرا عسكريا على رغم النظارات التى يضعها على عينيه .

وفى حركات تدل على الانفعال الشديد جعل يصغى الى اقوال البائع وقد كاد صبره ان ينفد .

وقال البائع المسكين : وانى لى ان اعرف ؟ لقد دخل المتجر فى نفس الوقت المحدد لقـــدوم ناتكول هذا الى اننى لم ار

نانكوك من قبل فحسبته هو ولم يكن في نيتي بطبيعة الحال ان اعطيه اللفافة قبل ان يلقى الى بكلمة السر ولكنه انتزعها مني في عنف وانصرف مسرعا .

فقال الصيدلي مزمجرا : اعذار .. مجرد اعذار لاقيمة لها .. كيف تدعه يمضي وانت تعرف انه ..

ـ الم اكن اعرف انه ذلك الشرطي اللعين .. ان نانكوك هو الذي انبأني بذلك فقد جاء وهو يهم بمغادرة الحانوت .

ـ اذن كان ينبغي على الاقل ان تستعيد اللفافة .

ـ لو اني تريثت لحظة واحدة لاعتقلت . فقد كان الرجل الذي وثب من السيارة بادى القوة متحفزا للنضال .. ولو اني صمدت له لقتلني .

ورماه مستر اوبسيت بنظرة طويلة فاحصة .. ثم قال في هدوء : لو انه قتلك لوفر على غيره هذه المشقة !

وقد القى هذه الكلمات في لهجة جعلت الشاب المسكين يرتعد وجلا وقد ادرك المصير الذي يترقبه .

ولبث اوبسيت برهة طويلة يحدج الشاب بتلك النظرة الباردة المخيفة .

وبعد لحظات دار على عقبيه وسار الى مؤخرة الحانوت في خطوات سريعة حماسية حتى ليخيل لمن يراه في هذه اللحظة انه قد انطلق وهو في ثورة هياجة ليأتي ببلطة يقتل بها البائع المنكود الحظ .

ومؤخرة الحانوت تبدا بسلم مظلم ارتقاه اوبسيت على مهل وقد بدا ينفض عنه هياجه وغضبه . فلم تكد تمضي لحظات حتى كان قد انقلب رجلاآخر هادىء الطبع .. ساكن الحركات .. شديد الاتزان .

وفتح بابا يفضي الى غرفة حقيرة الاثاث اتخذها مكتبا له فجلس الى مكتبه واخرج علبة سجائره وتناول سيجارة منها .. كان القلق يملأ صدره .. وهو على حق في قلقه ..

ولكنه لم يعد مضطربا كما كان . في هذه اللحظة كان يتدبر موقفه في هدوء تام .

كان موقنا من ان انطلاق تيل باللفافة لم يكن امرا مدبرا او مقصودا .. والا لتطورت الامور عاجلا .

كل ما في الامر انها صدفة دبرتها الاقدار .

وكان له في هذا بعض العزاء .. ولكن ليس كل العزاء ان اللفافة لا تكاد تفض حتى تثور الشبهات ويشتد التساؤل .. فباى شيء يجيب ؟ لقد اعد طائفة من الاجابات لا تحرج مركزه ولا تكشف سره . ولكنه كان يعلم ان الامر لن يقتصر على هذا وانه سيظل هدفا للشبهات والظنون .. وقد يوضع تحت المراقبة زمنا ما .. هذا الى ان من المحتمل ان مستر تيل لن يفض الغلاف فورا .. بل سيبقيه كما هو الى ساعة متاخرة من الليل .. او ربما الى الغد .

وهذا بلا ريب فرض مستبعد ولكنه جائز الوقوع فينبغي ان يغتنم الفرصة السانحة قبل ان تفلت من يده .

ـ ٤ ـ

غادر اوبين مسكنه ولكنه لم يغب عنه اكثر من دقائق قليلة امضاها في احدى الصيدليات .. ثم رجع يحمل لفافتين افرغهما في اناء وجعل يخلطهما خلطا تاما .

ونظرت اليه باتريشيا وقالت : لا ريب انك تحب تيل حبا شديدا .. والا لما جشمت نفسك هذه المشقة .

ـ وهل ترتابين في ذلك ؟

وجعل ينظر الى مافي الاناء .. كان يبدو ان ليس فيه الا اوراق الشاى . اما المواد الكيميائية التي خلطها بالاوراق فكانت غير ظاهرة .. والان .. لو ان تيل تناول قدحا من هذا الشاى لازال اضطراباته المعوية فورا وسيعزو الامر الى شاى ميراكل دون ان يجرى بخاطره ان لارسين اوبين اصبعا في الامر .

قال لوبين : سأودع هذا الشاي اللفافة وابعث بها الى تيل .. لن تكون فيها شيء من شاي ميراكل .. ولكن سيكون فيها ما يشفيه من عسر الهضم وهذا هو ما يعنيه .. والآن علينا ان نوجه جهودنا الى الناحية الخطيرة من هذه المسألة .

ـ اية ناحية ؟

ـ ينبغي ان نعرف من اي متجر ابتاع تيل الفا وخمسمائة جنيه مقابل ثلاث شلنات ؟ اسمعني ياعزيزي بدلا من المغامرات ومشقاتها يحسن بنا ان نشتري لفافة شاي مرة كل اسبوع فتمتلىء خزانتنا بالمال .

ـ انها فكرة رائعة .

وتناول لوبين سماعة التليفون وادار ارقام المفتش تيل كان يعلم ان التليفون موضوع الى جانب الفراش وان تيل قد آوى بلا ريب الى سريره علّه يهدىء من ثورة معدته .

واذ تم الاتصال التليفوني قال :

ـ ارجو ان لا اكون قد ازعجتك في خلال عمل هام ؟

وسمع صوت تيل يقول : من انت ؟

فلم يجب لوبين على هذا السؤال وانما استرسل يقول :

ـ وارجو ان تكون معدتك المحترمة على ما يرام

وما كان تيل في حاجة الى ترديد سؤاله ثانية . أليس في العالم كله الا رجل واحد يمكن ان يسأل عن معدة تيل بهذه اللهجة الهازلة ان مخاطبه هو بلا ريب ذلك الشيطان لوبين .

وتوجع المفتش تيل في صوت خافت .. ولكنه لم يصرخ ولم يصخب !

حقيقة انه كان في فراشه .. ولكنه لم يكن نائما وكيف ينام واضطراباته المعوية تزعجه ؟ وراسه المصدع من اثر الهراوة لا يبيح له شيئا من الراحة .

والآن وقد اوشك ان يتغلب على صداعه وعسر هضمه

يظهر له ذلك الشيطان .. ويثب اليه من اعماق الارض .. ليعذبه ويضاعف همومه .

وصاح تيل في صوت يدوي كالرعد :

ـ اهذا كل ما اردت ان تسألني عنه ؟ اذا كان ..

ولكن لوبين لم يدعه يتم حديثه وانما قال :

ـ ولكن امر معدتك يزعجني ويهمني ياتيل .. انك تعرف حبي لكرشك العظيم .. وكم يشتد حزني .. لو ان كارثة حلت به .

ومن انبأك ان كارثة ستحل به ؟

ـ عبقريتي في الاستنتاج . ام لعلك تريد ان تنبئني بانك اشتريت لفافة من شاي ميراكل لانك تحب هذا النوع ؟

وساد السكوت لحظة ولو كان " التلفزيون " مستعملا لرؤي مستر تيل في هذه اللحظة متقلص الوجه فقد شعر باضطراب مفاجىء في معدته .

وبعد لحظة قال في صمت ضعيف : شاي ميراكل .

ـ كانت اللفافة في جيبك بعد ظهر اليوم وقد سقطت منك عندما حياك صديقك الحميم بهراوته .. ولكني عثرت عليها ووضعتها في السيارة الى جانبك غير انك نسيتها عند انصرافك انه مفيد جدا في ازالة عسر الهضم والصداع واضطراب الاعصاب والامساك والاسهال والهالات السوداء التي تظهر حول العين .. ورباه لم اكن اظن يا تيل انك مصاب بهذه الامراض كلها .

وقال تيل مزمجرا : كل ما في الامر اني سمعت المذيع يخطب في فوائد هذا الشاي . ثم رايت لوحة تعلن عنه في مواجهة احد الحوانيت وانا في طريقي الى داري .. فرأيت ان اجربه .. ولا سيما انى اشعر بعسر الهضم .. انني ..

فقال لوبين : لك اذن ان تجرب هذا الشاي .. واذا

احتجت الى من يدلك لك بطنك فما عليك الا ان تستدعيني الك تعرف انني احبك واحب كرشك العظيم .. وساحضر اليك الان فورا .

فانقبض تيل عينيه فزعا . فى مثل هذا الوقت تصبح زيارة من لوبين نكبة اخرى .

وبادره بقول : شكرا .. انى لست الان فى حاجة الى النوم العميق . فهل لك ان تحضر لفافة الشاى فى يوم اخر يالوبين

ــ كما تشاء .. ايمكن ان يكون موعدنا غدا فى الساعة الرابعة ؟

فرمى تيل باخر سهم فى جعبته وقال :

ــ يمكنك ان تبعث بها مع احد الخدم . او اقذف بها الى عرض الطريق اذا شئت فان فى وسعى ان ابتاع سواها .. وثلاثة شلنات ليست بالشيء الذى يذكر .

فقال لوبين فى غير مبالاة بالعقبات التى يقيمها تيل :

ــ اذن .. اتفقنا على اللقاء غدا الساعة الرابعة وسنتناول قدحا من الشاى معا .

ورد سماعة التليفون مكانها .

لقد اصاب كل المعلومات التى ينشدها وما عاد فى حاجة الى شيء جديد .

لقد ابتاع المفتش تيل الشاى من احد المتاجر المعروفة وهو فى طريقه الى داره .

وكان لوبين على علم بالطريق الذى اعتاد تيل ان يسلكه فى عودته الى داره من مقر عمله . انه منذ سنوات يغادر ادارة سكوتلانديارد .. ويسير فى شارع فيكتوريا .. ثم ينعطف الى شارع جانبى ضيق يفضى الى مسكنه .

فما على لوبين اذن .. الا ان يسلك نفس هذا الطريق فيقع على المتجر المنشود .

نعم .. لاريب ان فى الطريق غير متجر واحد يبيع شاى ميراكل ولكن المتجر الذى ابتاع منه تيل اللفافة يمتاز بان فى واجهته أعلانا عن هذا الشاى .

وكانت باتريشيا ترقبه وهو يفكر قالت : والان .؟

ــ والان ادركت اننا لم نخطيء .. لم يبد تيل اى اهتمام بلفافة الشاى .. وهذا معناه انه لا يعلق على ردها اليه اية اهمية .. بل لقد سالنى ان لا اجشم نفسى مؤونة اعادتها اليه ففى وسعه ان يبتاع سواها .. لقد اشتراها انسياقا وراء اعلان رآه .

فقالت باتريشيا فى حذر : اموقن انت من انه لا يحاول ان يضلك حتى لاتداخلك الريبة فى الامر .

فضحك لوبين وقال :

ــ ايضللنى وانا الخبير بنبرات اصواته .. ما من نبرة فى صوت تيـــل الا اعرف معناها ومرماها .. فلو انه اراد ان يضللنى لتبينت ذلك فى صوته .. ومع ذلك فما الذى يدعوه الى تضليلى او بعبارة اخرى يدعونى الى الاسترابة فيه والامر عادى لا يعدو عثورى على لفافة شاى مختومة فاردت ان اعيدها اليه .. ولماذا يطلب الى ارجاء الامر الى الغد وقد كان فى وسعه ان يسترد اللفافة فورا مادام يعرف ان لها سرا ويخشى ان اكتشفه ؟ كلا .. ان تيل خالى الذهن من سر اللفافة ولا يعرف عنها الا انها لفافة شاى عادية .

ثم نهض واقفا وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة وقال : هيا بنا نخرج يا عزيزتى الى هذه الدنيا الواسعة ونبحث عن ذلك المتجر الذى يبيع المعجزات .

وبعد لحظات كانت السيارة الهورنديل منطلقة الى ميدان البرلمان ولوبين فى داخلها يتوثب لهفة الى المغامرة المنتظرة

* * *

ان شاى المعجزات «ميراكل» الذى تحشى لفائفه باوراق

البنكنوت بدلا من اوراق الشاى لابد ان يكون منطويا على سر فينبغي اماطة اللثام عن هذا السر على عجل .

واوقف لوبين سيارته على ناصية شارع فيكتوريا وهبط منها وهو يقول : فلنمض الى هناك سيرا على الاقدام .

وتأبط ذراع باتريشيا ومشيا معا مشيـة من يتريض ويتأمل واجهات الحوانيت فى بلادة وتراخ .

وقال لوبين : مايدرينا ان هناك مليونيرا عاش طيلة حياته يشكو عسر الهضم فلما مات اوصى باموالة ان توزع على كل من يشاطره داءه فحشيت اوراق البنكنوت فى لفافات الشاى وكتب عليها انها علاج الاضطرابات المعوية .. واقدم وكلاؤه على توزيع ثروته بهذه الوسيلة بين المصابين بعسر الهضم اذ لن يشترى لفافة من شاى ميراكل الا كل من يشكو داء المعدة

ثم أردف ضاحكا :

ـ او لعله رجل من اصحاب الصيدليات خدع الناس فى شبابه بالاسراف فى الاعلان عن ادوية مغشوشة فأراد ان يكفر عن ذنوبه بهذه الوسيلة .. او لعله ..

فقالت باتريشيا تقاطعه : او لعل هذا هو الحانوت الذى نبحث عنه .

وامسك لوبين عن السير وارسل بصره الى حيث اشارت باتريشيا ..

ثم سار فى رفقتها حتى اذا اشرفا على الحانوت الذى ابتاع منه المفتش تيل لفافة الشاى .. اخذ عينه الاعلان القائم فى واجهة الحانوت ووقف لوبين على الافريز المقابل يقرأ اللوحة القائمة على الباب :

« هنرى اوبسيت وشركاه »

ثم تحول الى باتريشيا يقول :

ـ ادخلى الحانوت يا صديقتى وابتاعى لفافة من شاى

ميراكل ..

فقالت متسائلة : وهب انهم افرغوا مسدساتهم فى صدرى ؟

ـ سأسمع الدوى فادعو عربة الاسعاف .. فليطمئن بالك .

وبعد دقيقتين رجعت اليه باتريشيا وفى يدها لفافة من الشاى فابتعدا مسرعين عن الحانوت .

وغمغم لوبين يقول : وكيف حال الاخ هنرى اوبسيت ؟ الا يزال هادىء الطبع متزن الاعصاب ؟

ـ اذا كان هو الرجل الذى قدم الى اللفافة .. فانى لم اتوسم فى وجهه ما يريب ولكن لم بعثت بى الى داخـــل الحانوت ؟

ـ لارى ما يصحب شراء شاى ميراكل من علامات ومميزات وما كان فى وسعى ان ادخل الحانوت بنفسى اذ قد يدعونى الامر الى دخوله مرة اخرى .. ولست احب ان الفت الى الانظار ولكن الم يطرح عليك اى سؤال ؟

ـ كلا ..

ـ الم يبد عليه انه مهتم بشخصية مشترى الشاى ؟

ـ كلا .. بل انه لم ينظر الى على الاطلاق .

وفض لوبين غلاف اللفافة وهو يقول :

ـ فلنتناول قدحا من الشاى ولننظر اذا كنا قد ربحنا كنزا جديدا .

وفى ركن منعزل من مشرب فلوريدا فض الغلاف الداخلى فى حرص وحذر حتى لا يهشم الاختام .

وعلى نقيض اللفافة الاولى ـ لم تكن هذه اللفافة لتحتوى الا على اوراق الشاى .

فتنهد لوبين وقال : واسفاه .. لقد خسرت الآن الفا وخمسمائة جنيه .

لم ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة وقال :

ـ انى احس يا عزيزتى ان الغد سيكشف عن امور جسام .

- ٥ -

اوى ارسين لوبين الى فراشه واستغرق فى نوم عميق ولو ان صاعقة وقعت فوق سطح الغرفة لما ايقظته من نومه .. ولو ان قطيعا من الفيلة دقت بقوائمها فوق راسه لما افاق من رقاده .

ولكنه مع ذلك انتبه من نومه فجاة .. لا لان الجلبة التى ايقظته كانت عالية مثيرة وانما لانه ـ حتى فى نومه ـ كان يحس بالخطر حين يحيق به .

فتح عينيه بغتة .. ولكن انتظام تنفسه لم يتغير وتلك احدى خصائصه العجيبة . فلو ان احدا كان واقفا عند راس الفراش يرقبه لما وقع فى روعه ان لوبين قد استيقظ .

ارسل بصره الى ساعة مضيئة فى صدر المخدع وعرف انه نام اقل من ساعتين .

والجلبة التى ايقظته ؟ انها ليست فى المخدع .. وانما صدرت من الغرفة المجاورة .

وتناول لوبين مسدسه من تحت الوسادة ووثب من فراشه فى خفة الاشباح وخرج الى الردهة على اطراف اصابعه دون ان يصدر عنه صوت واحد .

وحانت منه لفتة الى الباب الخارجى .. وراه مواربا ومن خلال الفجوة الصغيرة كان شعاع ضئيل من نور الطريق ينفذ الى الردهة .

واقترب لوبين من الباب الخارجى ووجد ان الزائر الليلى قد احدث شقا فى افريز الباب ليخرج المزلاج من مكانه .

وارتد لوبين على عقبيه .

الفى باب الغرفة المجاورة مفتوحا .

واقترب منه فى خفة وحذر وارسل بصره الى الداخل ورأى شبح رجل منتصب فى ضوء مصباح جيب كهربائى يحمله فى يده وقد سلط الرجل ضوء مصباحه على المنضدة كانما يبحث عن شىء .

وفى خطوات خفيفة دخل لوبين الغرفة وسار على السجادة والرجل لا يشعر به حتى اذا صار خلفه مد فمه حتى كاد يمس اذنه وصاح فجاة : الو

ومن حسن حظ الرجل ان الفزع لم يقتله لساعته .. فلو انه كان ضعيف الاعصاب لما احتمل هذه الصرخة الفجائية ولكن الرجل كان قوى الاعصاب .. وقد استحال خوفه من هذا الصوت الفجائى الى خوف من خطر يتهدده .. وبحركة غريزية بدا يتهيأ للنضال .

وكان لوبين يتوقع هذا .. ففى اللحظة التى اطلق فيها صيحته جثا على ركبتيه ولف ذراعيه حول ساقى اللص ثم دفعه براسه دفعة شديدة فاختل توازنه وترنح واصطدم بالجدار صدمة شديدة .

ولكن ما كاد الرجل يعتدل حتى كان قد رفع يديه وبها هراوة من المطاط المضغوط .

وكان لوبين متهيئا لهذا فانحرف عن مسقط الهراوة فى حركة سريعة ودفع فوهة مسدسه فى بطن اللص بكل عنف وسمعه يتاوه متوجعا . وفى نفس اللحظة كانت يد لوبين اليسرى قد قبضت على رسغ اللص ولوت ذراعه فصرخ متالما وسقطت الهراوة من يده .

وقال لوبين باسما : لاينبغى ان تضرب الناس بمثل هذه الاداة .. انها تؤذى وتولم .. اليس كذلك ؟

ولم يجب اللص على هذا السؤال اذ كانت الاوجاع التى

اصابت رأسه وبطنه وذراعه تكاد تفقده الوعي .

واغتنم لوبين هذه الفرصة فتحسس جيب اللص وايقن انه لا يحمل سلاحا آخر .

وفي اللحظة التالية غمرت الاضواء الغرفة وعلى العتبة كانت باتريشيا هولم واقفة تبتسم وخصلات شعرها تتماوج على كتفيها .

قالت : اني آسفة ! لم اكن اعرف انك تستقبل ضيفا .. اخشى ان اكون قد ازعجت خلوتكما .

فقال لوبين : لا ضير عليك .. ان الدعوة عامة لمن شاء ان يحضر حفلة الاستقبال .

واستند لوبين الى الجدار وراح يتأمل الطارق .. انه يعرف هذه السحنة ! لقد رأى صاحبها من قبل .

وفجأة ذكر الرجل وتحول الى باتريشيا يقول :

ـ اتذكرين صديقنا القديم ماك جوير ؟ انه قادم من سجن باركهرست عقب عطلته الاخيرة التي امضاها هناك بعد حادث سرقة بالإكراه .. ويظهر انهم انباوه بان لدينا مجموعة نادرة من الجواهر فجاء يسعى اليها .. لقد كان اولى بك يا عزيزي ماك ان تدق الجرس بدلا من ان تشوه بابي بتلك الفجوة التي احدثتها في اطاره .

واستوى ماك جوير على الارض وامسك برأسه اذ كان لا يزال مضطرب الحواس من اثر الاصطدام بالجدار .

ثم قال : حسنا .. اذهب وادع رجال الشرطة .

فابتسم لوبين .. انه اقتراح طبيعي .. وقانوني .. ولكنه لم يكن مرتاحا الى تنفيذه .

ان من السخافة ان يكون لوبين فريسة للص عادي . ان له شهرة في اوساط المجرمين تحمل اشدهم دهاء وجراة على الابتعاد عنه خشية بطشه .. ورجل من طراز ماك جوير

لايمكن ان يقدم على هذا السطو الا لغاية معينة .. ترى ماهي هذه الغاية ؟

وادار لوبين بصره في ارجاء القاعة .. كان كل شيء على عهده لم تمسسه يد .. لم يفتح دولاب .. ولم يغتصب درج كل شيء كما كان .. الا ..

ان اللفافة التي حشاها بالشاي والمواد الكيميائية ليعيدها الى تيل كانت لاتزال فوق الطاولة .

ولكن كانت هناك على ارض الغرفة لفافة اخرى .. على قيد خطوات من ماك جوير .. لفافة مماثلة من شاي ميراكل لمن جاء بها .. ؟

لم يكن هناك شك اذن في ان ماك جوير هو الذي اتى بهذه اللفافة ليضعها مكان لفافة تيل التي يظن انها محشوة باوراق البنكنوت .

ومن انباه بانها محشوة بالبنكنوت ؟ لاشك انه موفد من العصابة ..

وابتسم لوبين وقال : لو انك اخطرتني بما تبغي لاستقبلتك مرحبا ولما ضننت عليك بما تبغي .. فلفافة شاي بين الاصدقاء لاتعد شيئا مذكورا .

واذا كان لوبين في حاجة الى ما يعزز ظنونه الحائرة التي طاف بها ماك جوير ارجاء الغرفة حتى استقرت على اللفافة الملقاة على الارض .

ولكنه ما لبث ان تماسك وقال في بلاهة : اي شاي ؟

فقال لوبين في صوت رقيق :

ـ شاي ميراكل .. لقد زرتني الليلة من اجل هذه اللفافة يا ماك لقد اردت ايها الماكر ان تسلبني الشاي الاصلي وتضع مكانه لفافة من شاي رديء النوع .

ونظر اليه ماك جوير في ذهول وقال : لست ادري عم

اصابت رأسه وبطنه وذراعه تكاد تفقده الوعى .

واغتنم لوبين هذه الفرصة فتحسس جيب اللص وايقن انه لا يحمل سلاحا آخر .

وفى اللحظة التالية غمرت الاضواء الغرفة وعلى العتبة كانت باتريشيا هولم واقفة تبتسم وخصلات شعرها تتماوج على كتفيها .

قالت : انى آسفة ! لم اكن اعرف انك تستقبل ضيفا .. اخشى ان اكون قد ازعجت خلوتكما .

فقال لوبين : لا ضير عليك .. ان الدعوة عامة لمن شاء ان يحضر حفلة الاستقبال .

واستند لوبين الى الجدار وراح يتأمل الطارق .. انه يعرف هذه السحنة ؟ لقد رأى صاحبها من قبل .

وفجأة ذكر الرجل وتحول الى باتريشيا يقول :

ـ اتذكرين صديقنا القديم ماك جوير ؟ انه قادم من سجن باركهرست عقب عطلته الاخيرة التى امضاها هناك بعد حادث سرقة بالاكراه . . ويظهر انهم انباوه بان لدينا مجموعة نادرة من الجواهر فجاء يسعى اليها .. لقد كان اولى بك يا عزيزى ماك ان تدق الجرس بدلا من ان تشوه بابى بتلك الفجوة التى احدثتها فى اطاره .

واستوى ماك جوير على الارض وامسك برأسه اذ كان لا يزال مضطرب الحواس من أثر الاصطدام بالجدار .

ثم قال : حسنا .. اذهب وادع رجال الشرطة .

فابتسم لوبين .. انه اقتراح طبيعى .. وقانونى .. ولكنه لم يكن مرتاحا الى تنفيذه .

ان من السخافة ان يكون لوبين فريسة للص عادى . ان له شهرة فى اوساط المجرمين تحمل اشدهم دهاء وجراة على الابتعاد عنه خشية بطشه .. ورجل من طراز ماك جوير

لايمكن ان يقدم على هذا السطو الا لغاية معينة .. ترى ماهى هذه الغاية ؟

وادار لوبين بصره فى ارجاء القاعة .. كان كل شىء على عهده لم تمسسه يد .. لم يفتح دولاب .. ولم يفتش درج كل شىء كما كان .. الا ..

ان اللفافة التى حشاها بالشاى والمواد الكيميائية ليعيدها الى نيل كانت لاتزال فوق الطاولة .

ولكن كانت هناك على ارض الغرفة لفافة اخرى .. على بعد خطوات من ماك جوير .. لفافة مماثلة من شاى ميراكل فمن جاء بها .. ؟

لم يكن هناك شك اذن فى ان ماك جوير هو الذى اتى بهذه اللفافة ليضعها مكان لفافة نيل التى يظن انها محشوة باوراق البنكنوت .

ومن انباه بانها محشوة بالبنكنوت ؟ لاشك انه موفد من العصابة ..

وابتسم لوبين وقال : لو انك اخطرتنى بما تبغى لاستقبلتك مرحبا ولما ضننت عليك بما تبغى .. فلفافة شاى بين الاصدقاء لاتعد شيئا مذكورا .

واذا كان لوبين فى حاجة الى ما يعزز ظنونه الحائرة التى طاف بها ماك جوير ارجاء الغرفة حتى استقرت على اللفافة الملقاة على الارض .

ولكنه ما لبث ان تماسك وقال فى بلاهة : اى شاى ؟

فقال لوبين فى صوت رقيق :

ـ شاى ميراكل .. لقد زرتنى الليلة من اجل هذه اللفافة يا ماك لقد اردت ايها الماكر ان تسلبنى الشاى الاصلى وتضع مكانه لفافة من شاى ردىء النوع .

ونظر اليه ماك جوير فى ذهول وقال : لست ادرى عم

تتحدث ؟

ـ لاتدرى .. ؟ وارتسمت على شفتى لوبين ابتسامة . ولكنها كانت ابتسامة مخيفة .

ثم أردف بقول : مادمت لاتدرى .. فسأفضى اليك بما لا تعلم .. ثم مشى الى ركن الغرفة وتناول مقعدا دفعه الى ناحية ضيقة وقال :

ـ الا ترى ان الارض صلبة لاتصلح للجلوس ؟ اجلس على هذا الكرسى فان الحديث سيطول بيننا .

ولوح بمسدسه دلالة على ان كل كلمة ينطق بها ينبغى ان تنفذ فى غير تردد .. على ان البريق الذى انبعث من عينيه كان بلا ريب اشد قسوة من المسدس .

ونهض مالك جوير فى بطء وتهالك على المقعد .

وابتسم لوبين وهو ينظر اليه ثم تحول الى باتريشيا وقال : فى درج مكتبى الاعلى قيد من الصلب فعلى به لازين به يدى هذا الصديق العزيز .. وعلى بقيد آخر للساقين .

وقطب مالك جوير جبينه وقال : ولم هذه القيود .

ـ لا لشىء الا لاجعلك تحس كانك فى دارك .

ضع يديك خلف ظهرك .. شكرا .. والآن الصق ساقيك بقائمتى المقعد .

وثار مالك جوير غضبا .. ولكن ماعساه يفعل وهو الخبير بلوبين وبابتسامته الاشد خطرا من صرخاته الغاضبة .

وفعل مالك ما امر به .. ووضعت الاصفاد فى يديه وساقيه

والقى لوبين بمسدسه على مكتبه واشعل سيجارة جذب منها عدة انفاس ، ثم تحول الى مالك قائلا :

ـ يؤسفنى ان افعل بك هذا يا مالك .. ولكن ما الحيلة لابد لى ان اعتصر ذاكرتك الا اذا كانت قد انتعشت من تلقاء نفسها .. اتحب ان تجيب على اسئلتى ؟

ورماه مالك بنظرة شذراء دون ان ينطق بكلمة واحدة .

ونظر لوبين الى باتريشيا وقال : اسمحى لى ان ازعجك مرة اخرى يا عزيزتى .. هاتى الجهاز الكهربائى الخاص بتجعيد شعرك .

واجفل مالك جوير وكان للاصفاد رنين مسموع . وقال فى صوت مبحوح : اسمع لماذا لاتدعو رجال الشرطة وتسلمنى اليهم ؟

فابتسم لوبين وقال : وكيف ادعوهم الى رؤيتك قبل ان استكمل زينتك ؟ لابد أن ازينك واجملك قبل قدومهم .

واقترب من مالك جوير على عجل .. وامسك بقميصه فجذبه فى عنف حتى تمزق وانكشف صدره .

ثم قال : اعدى جهاز التجعيد يا عزيزتى .. فساجعد شعر صدر مالك جوير قبل ان اقدمه لرجال الشرطة ليكون فتنة للانظار .

ـ ٦ ـ

نظر مالك جوير الى ابتسامة لوبين الرقيقة وعينيه الصارمتين الباردتين ولهثت انفاسه .

لم يكن بالرجل الجبان الرعديد .. ولكنه كان يعرف متى ينبغى ان يخاف .. ومتى ينبغى أن يستسلم .

وصاح مالك يقول : انك لم تمنحنى فرصة ياسيدى .. لم لا تسألنى عما استطيع عنه جوابا .. انى لا اريد ان ارمى بنفسى فى المهالك او المتاعب وتحول عنه لوبين وابتسم فى وجه باتريشيا وقال : اعدى جهاز التجعيد يا عزيزتى ما دام صديقنا لا يريد ان يجيب الا على ما يحلو له من اسئلتى .. اعدته فقد بغير مالك جوير رايه !

ثم تحول الى الاسير وقال : والآن حدثنا بكل ما تعرف عن شاى ميراكل .

ـ انى لا اعرف شيئا عن هذا الشاى .. واقسم لك انى لم اسمع بهذا الاسم الا الليلة .. ومن شفتيك انت .. كل ما حدث انه طلب الى ان اسطو على دارك ومعى هذه اللفافة فاذا وجدت لفافة اخرى تشبهها فما على الا ان آتى بها واضع ما معى مكانها هذا كل ما اعرف .. وليصعقنى الله اذا كنت قد كذبت عليك !

فقال لوبين : انا الذى ساصعقك اريد ان تجعلنى اصدق ان الاخ اوبسيت لم يقل لك شيئا غير هذا ؟

ـ من ؟

ـ قلت اوبسيت .. انك تعرف عمن اتحدث .

ـ انى ما سمعت هذا الاسم من قبل .

فاقترب منه لوبين خطوة وقد جمع قبضته كانما يهم بان يلكمه فى وجهه فصاح مالك جوير :

ـ اقسم ان هذه هى الحقيقة .. اقسم انى لا اكذبك القول واذا كنت لا اعرف كل شيء فليس الذنب ذنبى . انهم هم الذين كتموا عنى الحقيقة .

ـ اذن من الذى امرك بان تحضر الى دارى وتبدل اللفافتين ؟

ـ لا ادرى ..

واذ راى النظرة الصارمة تنبعث مرة اخرى من عين لوبين صاح مستدركا : اصغ الى .. وارجوك ان تصدقنى .. اعلم انى اريد ان انجو بحياتى فما الذى يحملنى على الكذب ؟ نعم انى لا اعرف من الذى عهد الى بهذه المهمة .. عندما خرجت من السجن وجدت فى انتظارى رجلا لا اعرفه ولم اسأله اسمه طبعا لان هذا من تقاليد مهنتنا ! وقد قال لى هذا الرجل : اتحب ان تربح خمسين جنيها فى كل اسبوع لقاء عمل قذر تؤديه ؟ فاجبته بالايجاب فنقدنى عشرين جنيها تحت الحساب

وطلب منى ان اذكر له رقم تليفون يستطيع بواسطته الاتصال بى . وفى هذا المساء اتصل بى تليفونيا ..

فقال لوبين مقاطعا : ولم تعرف مطلقا من يكون هذا الرجل ؟

ـ مطلقا .. وليصعقنى الله اذا ..

ـ وكيف اذن ستنال بقية اجرك ؟

ـ سيضرب لى موعدا فى مكان معين ليسلمنى بقية اجرى

ـ الا تعرف اين يقيم هذا الرجل ؟

ـ كلا . واقسم لك ـ ولكنه زودنى برقم تليفون لاتصل به حين اشاء .

ـ وما هو هذا الرقم ؟

ـ ٣١٠٠ بركلى .

ونظر لوبين الى مالك جوير نظرة فاحصة .. من الجائز ان تكون هذه القصة صحيحة .. واللهجة التى يلقى بها مالك حديثه تدل على انه لا يكذب .

واسترسل لوبين يقول : صف لى هذا الرجل ؟

ـ طويل القامة نحيف .. تدل ملامحه على انه اجنبى وله لحية سوداء .

وهذا جائز ايضا .. اذ ليس معقولا ان يكشف مستر اوبسيت شخصيته لاعوانه .. وما من شك فى انه يعمد الى التنكر دائما ..

وعاد لوبين يقول : وكيف عرف صديقك الاجنبى ان لدى فى دارى لفافة من شاى ميراكل ؟

ـ لا ادرى ..

وجاءت بات فى هذه اللحظة تحمل المجهد الكهربائى وقد انقدت اسلاكه وتوهجت .

فقال لوبين : لقد جئت فى اللحظة المناسبة يا عزيزتى فقد

بدات ذاكرة صديقنا ماك جوير تضعف من جديد .
وفى فزع قفز ماك الى الاسلاك المتوهجة ولعق شفتيه ثم قال : انا الذى اكتشفت ان فى دارك لفافة من هذا الشاى .
وكنت انوى طبعا ان اكاشفك بالحقيقة .
ـ انت الذى اكتشفت ؟ وكيف ؟
ـ لقد سمعت حديثا تليفونيا .
فضاقت عينا لوبين وقال : اين ؟
ـ فى المنزل الاول الذى ذهبت اليه .. على كثب من محطة فيكتوريا . . انه المنزل الذى امرت ان اذهب اليه وابدل اللفافتين .. لقد استطعت فعلا ان اتسلل اليه . ولكن صاحبه كان لا يزال فى مخدعه ارقا فانزويت فى الردهة انترقب ساعة نومه واخيرا دق جرس التليفون واصغيت الى الحديث الذى دار وفهمت منه انه يتحدث اليك وانت وان حديثكما يدور حول لفافة شاى اشتراها ونسيها لديك . فادركت على الفور ان لاداعى لبقائى فى هذا البيت لان لفافة الشاي المنشود موجودة لديك انت فسارعت الى الخروج وتحدثت الى رئيسى المجهول تليفونيا وابلغته بما سمعت فعهد الى بان امضى الى دارك واستعيد اللفافة .
واستعاد لوبين الى ذهنه الحديث الذى دار بينه وبين المفتش تيل وايقن من صدق ماك جوير .. فليس فى وسعه ان يخترع هذا الحديث او يلفقه والامر فيه متعلق بلوبين بصفة مباشرة .
وادرك ايضا ماجال فى خاطر اوبسيت عند سماعه حديث ماك جوير :
عندما هوجم تيل خف الى نجدته رجل فى سيارة . .
ولا شك ان هذا الرجل نقل تيل الى سيارته .. ومن المحتمل ان لفافة الشاى وقعت من جيبه الى ارضية السيارة . وبعد

انصراف تيل عثر صاحب السيارة على اللفافة فاتصل تليفونيا بتيل لكى يعيدها اليه .
هذه هى التطورات التى تصورها اوبسيت . ولهذا امر ماك جوير بان يمضى الى دار صاحب السيارة ليستعيد اللفافة .
ولم يملك لوبين الا ان يبتسم وهو يتصور هذا .. ترى كيف انقلبت سحنة اوبسيت عندما عرف ان لفافته المريبة قد وقعت فى يد لوبين !
ونظر لوبين الى ماك جوير نظرة فاحصة ثم قال فى هدوء:
ـ ما رايك فى ان نتقاسم معا لفافة الشاى ؟
فحملق فيه ماك دهشا وقال : نتقاسمها ؟ وهل لفافة شاى شيء يستحق ان يكون محل مساومة ؟
وادرك لوبين من هذا الجواب ان ماك لا يدرى ان اللفافة محشوة باوراق البنكنوت .
نعم .. ان ماك فيما يظهر الا اداة طيعة .. امر بان يستعيد اللفافة فجاء يستعيدها دون ان يكون على علم بالتفاصيل وما كان اوبسيت من الحماقة بحيث يشرك فى اسراره رجلا من طراز ماك .
وغرق لوبين فى احد المقاعد الكبيرة وراح ينفث من فمه حلقات كبيرة من الدخان ويتابعها ببصره .
ثم تحول فجاة الى ماك وقال : اتحب ان اعيدك الى السجن مرة اخرى ؟
فقرض ماك على اسنانه ولم يجب . فقال لوبين مستطردا:
ـ انك لا تخسر مرتبك فحسب وانما ستخسر ايضا الخمسين جنيها التى تبرع لك بها اسبوعيا صديقك الاجنبى
ـ هذا صحيح ..
ـ اذن ما رايك فى ان تتصل الان تليفونيا بصديقك .

احسابي انا . ؟
فبدا الذعر في عيني ماك حين ادرك ما يرمي اليه لوبين وفتح فمه مرة او مرتين دون ان يصدر منه صوت واحد .
ثم قال في جهد ظاهر : اتوسل اليك لا تسلمني ان افعل هذا اذا عرف اني وشيت به .
فهز لوبين كتفيه في غير اكتراث وزايل مقعده ببساطة وهو يقول : كما تشاء .. لابد ان يتحدث احدنا في التليفون اما انا واما انت فاختر لك ما يحلو .. واذا تحدثت انا فسأتصل بادارة البوليس واطلب اليها ان تستضيفك . وثق انهم سيرحبون بك وستبقى في ضيافتهم عشرة اعوام ومع ذلك فلا ينبغي ان تبتئس اذ يقال ان الحياة هناك صحية خالية من الهموم .
فقال ماك جوبر في صوت مختنق : لحظة واحدة ! ماذا تفعل اذا انا تحدثت اليه تليفونيا ؟
ــ سوف انقدك مائة جنيه . واعدك بان لا ينالك اذى من رئيسك .
وازدرد ماك لعابه فقد كان هذا الوضع فوق ما يرجو وقال : حسنا . . قبلت انها صفقة طيبة .
واقترب لوبين من التليفون وشرع يدير ارقام القرص وهو يقول مخاطبا ماك جوبر :
ــ كل ما ابغي منك هو ان تنبيء ذا اللحية السوداء بانك فتشت المكان تفتيشا دقيقا فلم تعثر على لفافة الشاي .. وانني متغيب عن داري ولا احب يا ماك ان ابث الرعب في قلبك . ولكن ينبغي ان انذرك بما ينتظرك اذا ذكرت له شيئا اكثر من هذا .. اذا حاولت ان تشي بي فان المجعد الكهربائي لا يزال حاضرا .

ــ اني اعرف ان الوشاية لن تجديني نفعا .
وتم الاتصال التليفوني .. ودفع لوبين بالسماعة الى يد ماك جوبر .. ثم انتظر .
وحملت الاسلاك صوتا اجنبي اللكنة يقول : نعم ! من هناك ؟ .
فقال ماك مجيبا : انني ماك جوبر . ــ نعم .
ــ خانني الحظ .. انه غائب عن الدار .. وقد فتشتها تفتيشا دقيقا فلم اجد فيها اثرا للفافة الشاي .
واعقبت هذا سكتة طويلة .. ثم قال الصوت الاجنبي في اقتضاب : حسنا يا ماك .. عد الى دارك وترقب اوامري .. سأتصل بك غدا .
وانقطع الاتصال التليفوني .
وضحك لوبين وقال :
ــ واني اراهن ياماك على ان هذه اول مائة جنيه ربحتها بلا عناء ..
وقال ماك جوبر وهو يحرك اصفاده : والان .. وقد اصبت مني ما تبغي ارجو ان تفك هذه الاصفاد .
فهز لوبين راسه نفيا وقال :
ــ ابمثل هذه السرعة تريد ان تتخلص من ضيافتي ؟.. انك قد تعمد الى الاتصال برئيسك مرة اخرى لتنبئه بحقيقة ما حدث ولست احب ان اكون سببا في ازعاجه في مثل هذه الساعة من الليل فنم في داري آمنا مطمئنا ، واعلم انك ان خرجت استهدفت للخطر لان رئيسك لا يلبث ان يبحث عنك ليفرغ في صدرك رصاص مسدسه . .

- ٧ -

في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي كان لوبين قد غادر داره الى شارع فيكتوريا حيث يقع متجر مستر

هنري اوبسيت .

وفي غير تردد دخل لوبين المتجر وتقدم الى البائع البادي الاضطراب الذي كان منتصبا خلف الطاولة .

وقال البائع : نعم يا سيدتي .

ولم يكن هناك شك في ان البائع قلق منزعج ولا عجب بعد ان انذره اوبسيت بالموت .. وبعد ان ضيع بغباوته وقلة حرصه الفا وخمسمائة جنيه .

وبنظرة شاملة عرف لوبين مداخل المتجر ومخارجه . وادرك ان هذا الباب القائم في الصدر خلف الطاولة انما يفضي الى القسم الخلفي من الحانوت الذي يقع فيه مكتب الادارة .

واخرج لوبين من جيبه لفافة صفراء .. لفافة شاي ميراكل .

وقال في غير اكتراث : لقد اشترى هذا الشاي من عندكم سائق لي .. رجل بدين يدعى تيل .. انه شرطي سري عظيم وان كان ينقصه الذكاء والدليل على نقص ذكائه انه عدل عن شرب هذا الشاي الجيد .. فعهد الى بان اعيده اليكم ليستبدله بشيء آخر فهل لك ان تعطيني بدلا منه قطعة من الصابون ؟

وكان البائع ممثلا رديئا ما كاد يسمع هذه الكلمات حتى شحب لونه ثم احمر .. ثم جعل يحملق بعينيه الى اللفافة كانما لا يصدق ما يرى .

ثم قال في جهد ظاهر :

ـ يسرنا ياسيدي ان نبدلها لك .

ـ شكرا .. سيفرح تيل بقطعة الصابون .. وان كنت انا نفسي اوثر له ان يشرب الشاي ليزيل ما يعاني من سوء الهضم .

ولكن البائع لم ينتظر الاستماع الى تتمة هذا الحديث .

وانما قال على عجل : لحظة واحدة يا سيدي !

وابتلعه الباب الخلفي المفضي الى مكاتب الادارة واللفافة لا زالت في يده .

وغاضت الابتسامة التي كانت مرتسمة على شفتي لوبين وفي وثبة واحدة تخطى الطاولة التي امامه . وما لبث بدوره ان ابتلعه الباب الخلفي .

سار لوبين في اثر الشاب ورآه قد بلغ اعلى السلم فصعد في اثره وبلا تردد .. وان حرص على ان لا يصدر عنه اي صوت ينبه اليه الانظار .

وفي الغرفة العليا كان مستر هنري اوبسيت جالسا الى مكتبه يتدبر موقفه ويتحدث الى صديق له يدعى نانكوك .

وقال اوبسيت : لا تلمني على ما حدث يانانكوك فلو انك جئت بالامس في الموعد المحدد .

فقال نانكوك مقاطعا :

ـ لقد جئت في الموعد المحدد ! انها غلطة ذلك الشاب الابله . اذ اعطاه اللفافة دون ان يلقى اليه بكلمة السر .. واعطاها لمن .. ؟ لتيل دون الناس جميعا . ! اني ارى انه ليس من الحكمة ان احضر الى هذا المكان بعد الان . فقد تقع تطورات خطيرة .

فقال اوبسيت في برود وصرامة :

ـ هذا صحيح ! ومن الذي طلب اليك ان تحضر الى هذا المكان .

ـ جئت لاني اريد مالي .. اظن اني اديت هذه الاعمال القذرة مجانا واحتسابا لوجهك الجميل .. ! اني لم استهدف للاخطار الا لانني في حاجة الى المال .. وهل الذنب ذنبي اذا كان مساعدك الابله قد سلم اللفافة الى سواي ! اني لا احفل بهذه الاحتياطات السخيفة التي تتخذها خشية التلبس ..

وخشية اثارة الشبهات . لم لا تسلمني المال يدا بيد .. ؟ اسمع .. اذا كنت تريد ان تخدعني فاعلم .

فصاح الصيدلي : اخدعك .. يا الهي انا الذى اسائل نفسي عما اذا كنت انت الذى تخدعني ؟

وفي هذه اللحظة قرع الباب ودخل البائع يجري واللفافة في يده وهو يصيح : لفافة تيل .. لفافته .. ! لقد جاء بها رجل الآن .. وقال انه يريد ان يبدلها .. قال ان تيل اعطاها انها سليمة لم تفض !

وانبعث تانكوك واقفا كانما مسه تيار كهربائي وقد فتح فمه كالمشدوه .

اما اوبسيت فنهض واقفا في هدوء .

وحين تكلم بعد لحظة . . كان صوته صارما ومستريبا قال : صف لي هذا الرجل !

فقال المساعد في كلمات سريعة :

ـ رجل سليم الطوية .. الغباوة ظاهرة في وجهه . وهو ثرثار مهذار .. ولكني لم اتبين وجهه جيدا .

ـ اذن عد الى مكانك وراقبه جيـــدا .. وحاول ان تستبقيه .. تحدث اليه واشغله حتى اتمكن من رؤية وجهه

وخرج المساعد مسرعا وهبط الدرج دون ان يفطن الى الشبح المنزوى في ركن المكان .

وتناول اوبسيت اللفافة وجعل يتحسسها بين اصابعه وكانت النظرة المستريبة لاتزال ماثلة في عينيه . وكانت يداه لا تزالان ترتعشان انفعالا .

ثم غمغم يقول : يخيل الى ان اللفافة هي بعينها .. والى استغرب ما حدث .

فقال تانكوك : ولم تستغربه .. ؟ هذا مالي .. فهاته .

فقال اوبسيت : انك لتكون سعيد الحظ لو ان الاوراق كانت هي نفسها ولم تبدل بسواها .. شركا من البوليس .. فلنستوثق من الامر .

وفض الغلاف الخارجي . فانكشف عن غلاف آخر داخلي فقال : هذا هو الغلاف بعينه .

وفضه بدوره ... ثم انطلقت من فيه صرخـــة دهش وذهول . وجمدت عيناه كانما راى في داخل اللفافة حية رقطاء .. نشر اوبسيت الورقة الداخلية .. لم تكن ورقة بنكنوت وانما كانت بطاقة بيضاء ليس فيها الا كلمتان :

« ارسين لوبين »

ومزق اوبسيت جميع الاوراق الصغيرة المطوية .. كانت كل واحدة تحتوي على بطاقة تحمل نفس الاسم البغيض الكريه . وغمغم يقول : ارسين لوبين ..

وحملق تانكوك في البطاقات المتناثرة على المكتب ، ثم قال في صوت متلعثم : اني لا افهم .

فرماه اوبسيت بنظرة شذراء وقال :

ـ ينبغي ان تفكر .. لقد ارسل ارسين لوبين هذه اللفافة واذا عرفه ..

وهنا قاطعه صوت هادىء ذو نبرات كانها حد السيف وكان الصوت يقول :

ـ كلا ايها العزيز .. ان ارسين لوبين لم يرسل اللفافة نعم .. وانما جاء بها بنفســه لتتاح له فرصة يرى فيهـــا وجوهكم الجميلة .

وعند الباب كان ارسين لوبين واقفا وعلى شفتيه ابتسامة وفي عينيه لهيب من نار .

- ٨ -

انبعث الرجلان واقفين وراحا يحملقان فى ارسين لوبين كأنما يريان امامهما مخلوقا عجيبا هبط عليهما من المريخ .

وقد التمس لهما لوبين عذرا . فهو الذى اتاح لهما هذا الموقف وهيأه بظهوره فجأة على حين كانا يظنان انهما فى خلوة بمنأى عن الاخطار .

نفض لوبين رماد سيجارته وقال باسما : ارجو ان تغفر لى دخولى بهذه الطريقة .. دون استئذان . انى رجل مولع بالتشبث بالتقاليد .. ولكنى اردت ان نتحدث على انفراد فى موضوع لفافات الشاى .. فقد يسعنى ان اشير عليكم برأى جديد له قيمته .

وانصافا للواقع يجب ان نقول ان مستر اوبسيت استعاد ثباته قبل صاحبه .. بل يمكننا ان نقول فى هذا الصدد انه تقدم اعواما على مستر تانكوك الذى كان لا يزال قائما على قدميه شارد الذهن مترنحا كالثمل .. واخيرا لم تقو ساقاه على حمله وخفافه قوله تتهاوى الى الارض .

وانجلى ذهن اوبسيت ، ادرك فجأة ان غريمه غير مسلح ليس فى يده خنجر او مسدس واصابعه لا تمسك الا شيئا واحدا . تلك السيجارة المتوهجة الطرف . وفى حركة سريعة مد يده الى داخل سترته .

وفى هدوء قال لوبين : حقا .. الا تعلم انى لا احب المزاح بالمسدسات ؟

ولم يتسع الوقت امام اوبسيت الا لكى يحملق مرة اخرى وقد خيل اليه ان صاعقة انقضت عليه .

قبل ان تمس اصابعه مقبض المسدس المودع فى جراب معلق حول وسطه شعر ان طنا من الحديد قد تحرك فى سرعة القطارات وظل فى سيره حتى اصطدم بفكه !

وخيل اليه ان عينيه طارتا من محجريهما وان رأسه قد شج شطرين وان الظلام اشتمل الغرفة فجأة .

ثم ترنح وسقط على احد المقاعد .. وترنح الكرسى نفسه كأنما ناله اثر من اللكمة وهوى الى الارض مع اوبسيت ..

واراد تانكوك ان يتدخل .. فقال : ما معنى هذا .. ؟ وكأنما قال : « الكمنى انا ايضا .. » فقال له لوبين : معناه انى احب ان اجيبك على طريقة صاحبك !

وعاجله بلكمة فى بطنه فصرخ متوجعا .. وما مضت لحظات حتى كان كصاحبه .. يرى الظلام يشمل الغرفة فجأة !

واعتدل لوبين واصلح رباط رقبته .. والتقط السيجارة التى افلتت من اصابعه .. فجذب منها عدة انفاس .. ثم وقف يتأمل ثمرة عمله .

كان عملا سريعا . ولكن ضميره كان هادئا ؟ انهما هما اللذان اثاراه .

وانحنى فوقهما وجردهما من سلاحيهما . وفى هذه اللحظة سمع وقع خطوات سريعة تصعد الدرج فذكر انه لم يجهز بعد على البائع المسكين فتوارى خلف الباب فى اللحظة التى دخل فيها المساعد يحمل آخر ما لديه من الانباء .

قال فى صوت لاهث : لقد اختفى الرجل ولم ..

وبرز لوبين من وراء الباب وابتسم فى وجهه وقال :

— واين تظنه ذهب ؟

وسدد الى فكه لكمة ردته الى الوراء خطوات ثم خذلته ساقاه فهوى الى الارض ساكنا .

واخرج لوبين من جيبه حبلا رفيعا من الحرير فشد به ايدي وسيقان الرجال الثلاثة .. ثم كمم افواههم حتى اذا استفاقوا استحال عليهم الحديث .

والان ماذا ينبغي ان يعمل .. ؟ لم يكن لوبين قد تدبر الموقف من قبل او وضع خطة معينة .

لقد اراد ان يرى وجوه رجال العصابة . وهاهو قد رآها فماذا يفعل الآن ؟

وخطر له ان يسارع الى تفتيش المكان عله يقع على ورقة تكشف السر المتعلق بايداع الاوراق المالية لفافات الشاي .

وفي هذه اللحظة سمع اصواتا صادرة من الطابق الارضي من الحانوت نفسه .. هنالك من يسعل وينقر على رخام الطاولة بقطعة من النقود .

عميل جديد بلا ريب كاد ينفد صبره اذ وجد الحانوت خاليا وكان ينبغي ان يواجه هذا الموقف والا اثار الشبهات فدار ببصره فيما حوله ورأى جاكتة بيضاء فاسرع يرتديها وهبط السلم مسرعا .

الفى امامه امراة بدينة بادية الغضب اذ نفد صبرها وقد ابتدرته بقولها : اين كنت ؟ اتحسب اني لم اخلق الا لاقضي سحابة نهاري في المتاجر ؟ انك حديث العهد بهذا المتجر .. اليس كذلك ؟ اين مستر اوبسيت ؟

ــ ان مستر اوبسيت نائم الان ياسيدتي . . ولكن في وسعك ان تفضي الي بكل ما ترغبين .. يمكنك ان تثقي بي .

فقالت المراة في استهجان : اثق بك ! وهل جننت يارجل لابادلك اسراري .. اعطني صابونة . وربع كيلو بيكربونات

وحار لوبين فيما يصنع فقال لها : لحظة واحدة ياسيدتي فاني حديث عهد بالمكان .. ولا اكاد اعرف مواضع البضاعة .

واهتدى لوبين على عجل الى ما يبحث عنه . وقدم اليها الصابونة وكمية البيكربونات .

فقالت له : اني اريد ربع كيلو فقط .

فابتسم وقال : بما انك عميلة قديمة للمتجر فيمكنك ان تقبلي هذه الزيادة هدية من مستر اوبسيت .

وحملها نصف كيلو ! على انه لم يكتف بذلك وانما قدم اليها زجاجة من الويسكي وكمية من السكر حتى كادت تنوء بما تحمل . وقالت له المراة في دهش :

ــ ما هذا ؟

ــ هدية من مستر اوبسيت ! انه يحب العملاء القدامى

وخرجت المراة وهي لا تصدق ما حدث .

وابتسم لوبين وقال في نفسه : لو ان هذا النبا انتشر وعرف القوم ان مستر اوبسيت يوزع هدايا لاحتشدوا في الحانوت . وراح لوبين يدير في ارجاء الحانوت نظرة عجلى ليتبين موضع البضاعة . وما كاد يفعل حتى دخل الحانوت عميل يطلب اسبرين بثلاثة بنسات فما كان من لوبين الا ان قدم اليه انبوبة تحتوي مائة قرص فغادر الرجل الحانوت مشدوها مذهولا !

وارتقى لوبين الدرج مسرعا فوجد اصدقاءه الثلاثة لازالوا

في شبه غيبوبة وهم يتأوهون ويتوجعون ويحاولون أن يجروا سيقانهم .

وارتد ثانية الى الحانوت ليلبي طلب امراة سالته علبة من طعام الاطفال قيمتها شلن . فما كان منه الا ان قدم اليها اكبر الاحجام .. فلما ابدت دهشتها ذكر لها أن مستر اوسبيت قد اجرى تخفيضا كبيرا في هذا الصباح !

وقالت المرأة : اعطني رطلا من التين .

فقدم اليها رطلين وهو يقول : مجانا يا سيدتي .. ان مستر اوسبيت يوزع التين مجانا على سبيل الاعلان .

واشعل لوبين سيجارة ووقف يدخن وكلما جاء عميل قدم اليه ما يطلب باسعار لاتكاد تذكر .. وقد سرته هذه التجربة الجديدة .. البيع باسعار لاتكاد تعادل ربع ثمن الشراء . وازدحم العملاء وانهالت طلباتهم .. وهو يلبيهم باضعاف ما يطلبون .. فمن ساله رطلا اعطاه رطلين . ومن طلب اليه صنفا قدم اليه صنفين .

وجاءته حسناء فاتنة .. سالته صابونة للتواليت تباع عادة بسبعة شلنات .. ولكن الغادة ذات ابتسامة خلابة .. ولوبين ذو قلب يشعر فانحدر الثمن من سبعة شلنات الى شلن واحد .

وسالته الغادة عن ثمن زجاجة املاح الحمام . . فقال لوبين وهو يتناول الزجاجة ويلفها : هذه ! اننا نقدمها اليوم للعميلات الجميلات بنصف شلن .

فضحكت الفتاة وقالت : والدميمات ؟

ـ بنصف جنيه ! ولكنه لم يشأ أن يشجعها على ان تطلب شيئا اخر اذ رأى في هذه اللحظة رجلا يدخل الحانوت .

كان الرجل نحيف البنية هضيم الوجه كالفار يرخي قبعته على جبينه وثيابه قذرة لا تصلح الا لصندوق القمامة . . وقد وقف في ركن من المتجر ينظر الى واجهة فيها امواس الحلاقة .. ولم يكن هناك شك في انه لا يريد ان يلفت اليه الانظار اثناء وجود احد العملاء .

وادرك لوبين على الفور ان لهذا التستر مغزاه وان هذا الرجل لابد ان يكون من رجال العصابة .

وما كادت الغادة الحسناء تغادر المتجر حتى اقبل (وجه الفار) على لوبين وقال له : انى لم ارك من قبل !

كان يتكلم في لهجة تدل على عدم الاكتراث .. ولكن عينيه الضيقتين كانتا تتصفحان وجه لوبين باهتمام .

وقال لوبين مجيبا : مادمت لم ترني من قبل فلا ريب ان هيئتي قد اعجبتك .. ماذا عساي استطيع ان ابيع لك اليوم ياصديقي . . صابون للحلاقة؟ فرشاة الأسنان؟ زيت خروع؟

فقال الرجل : اين اوسي ؟

ـ ان عزيزي أوسي راقد في فراشه .. انه مصاب بصداع .. ولكن لا تحفل بذلك .. هل جربت اصابع طلاء الشفاه التي جلبناها حديثا ؟ انها مضمونة ومثيرة للفتنة فعليك بواحد منها .

فقطب الرجل جبينه ودفع الى لوبين مظروفا وهو يقول :

ـ هذا بيان ما احتاج اليه .. امض به الى اوسي .. لحظة واحدة .

واسرع لوبين الى مؤخرة الحانوت .. وفض المظروف

ارجو ان تكونوا قد اصبتم نوما هنيئا !

ورماه الثلاثة بنظرات تتطاير منها الشرر والحقد .. والخوف ايضا ولكن لوبين لم يكن بالرجل الذى يبالى بنظرات العيون ولو انه كان من هذا الطراز لكان منذ اعوام رجلا بلا اعصاب .

وتقدم اليهم وافرغ ما فى جيوبهم وجعل يفحص كل ورقة يجدها ولكن هذا البحث لم يسفر عن شىء .

ثم تحول الى خزانة الملفات . وجعل يفحصها فلم يجد فيها الا ما يتصل بالعمل التجارى العادى مما لا يمكن ان يثير شيئا من الشبهة .

واستوى على مقعد مستر اوبيست الموضوع امام المكتب وراح يفحص الادراج ومحتوياتها .

وتنهد يائسا . هذه الابحاث المنظمة الدقيقة .. لم تسفر عن ثمرة .

ومرت لحظات وهو يتأرجح على مقعده .. وذهنه يدور مفكرا ! ثم نهض واقفا .. وتناول مبراة كانت موضوعة على المكتب واجرى شفرتها على ظفره ثم ابتسم راضيا .

وتحول الى الرجال الثلاثة قائلا : يخيل الى من الحديث الذى دار بينكم قبل دخولى عليكم انكم تعرفون عنى الشىء الكثير .. ولعلكم قد ادركتم اننى انا ايضا اعرف عنكم الشىء الكثير .. وما دمت ياسيد هنرى تبيع اوراق البنكنوت داخل لفافات الشاى لقاء ثلاثة شلنات فلا مانع عندى من ان ابتاع كمية كبيرة من اللفافات واستطيع ان اقدر القسط الاول بعشرة آلاف جنيه ينبغى ان تدفع الى اوراق بنكنوت قبل الساعة الثانية من بعد ظهر الغد .. فاذا ترددتم .. زاركم المفتش تيل .. وفى هذه المرة لن تكون زيارته ودية .. افهمتم؟

ثم رفع يده بالمبراة وهو يقول : اليكم هذه المبراة

تساعدكم على النجاة .

وطوحها فى الهواء صوب الرجال الثلاثة ففزعوا وردوا رؤسهم الى الوراء .. ولكنه احكم الهدف فسقطت فى الفراغ الصغير الموجود بينهم وغاب نصلها فى الارض .

وقال اوبين مستطردا : اقطعوا قيودكم .. ولكن حذار ان تجرحوا ايديكم .. والآن وداعا ايها الاصدقاء .

وغادر الغرفة وهبط الدرج مسرعا وقد اشرفت الساعة على الواحدة بعد الظهر .

وكانت باترشيا فى انتظاره فى مشرب قريب وقد امضها الانتظار فقالت وهى ترميه بنظرة فاحصة :

ـ انى استطيع ان اخمن ما حدث .. لاشك ان تيل ورجاله فى اثرك .. وربما كانوا منك الآن على قيد خطوات . يشى بهذا سحنتك المتقلبة .

فضحك وقال : لقد اخطأت يا عزيزتى فى استنتاجك .

وفيما هما يتناولان الغداء قص عليها ما حدث فسألته قائلة : ولكن علام يدور كل هذا ؟

فقطب جبينه وقال : وددت لو انى عرفت .. انى على يقين من ان الامر اكبر من اللصوصية انها لا يمكن ان تكون عصابة لصوص . ان هنرى اوبيست هو مدير شركة الشاى وقد علمت من حديث تيل بالامس انهم يقدمون اغانى فى الراديو على سبيل الاعلان عن الشاى . وهذا بلا ريب يتقاضاهم نفقات طائلة .. وليست هناك عصابة لصوص مهما عظم شأنها ومهما حرصت على التضليل تلجأ الى مثل هذه الوسيلة الباهظة النفقات .. فجلى اذن ان هذه العصابة تزاول عملا يدر مبالغ طائلة وان كنت لا ادرى حتى الآن اى نوع من العمل هو . لقد اردت ان اضلل اوبيست حين انبأته انى اعرف الشىء الكثير .. واحسب ان كلماتى قد جازت

عليه . .

ـ اتظنه سينقذك ما طلبت ؟

ـ ولم لا . . ؟ ان الدنيا حافلة بالغرائب والعجائب ومع ذلك فلست طامعا فى امواله . . لقد اردت ان اضع له طعما . . هذا كل ما هنالك ولو انى ظفرت بهم فى مكان آخر لاكرهتهم على الافضاء الى بما يعلمون على انى ارجو ان يحاول او يبيت اقتناصى فيتيح لى بذلك فرصة لاكتشاف سره .

فابتسمت بالريشيا وقالت : وعلى فكرة . . اين تريد ان تدفن ؟

فضحك لوبين وقال : تحت الحجـــر الاساسى لسجن رانسون . . !

وبعدظهر ذلك اليوم مضى لوبين الى احد مصانع السيارات ليزود سيارته بجهاز يخفف من جلبة المحرك ثم مضى الى مقابلة المفتش تيل فى الموعد المحدد من قبل .

وفى تمام الساعة الرابعة كان فى مشرب مايفير . . وما كاد يقف بسيارته عند الباب حتى لمح مستر تيل غارقا بجسمه الضخم فى احد المقاعد الكبيرة .

ونهض تيل واقفا اذ رآه مقبلا .

وما كان لوبين فى حاجة الى حاسة سادسة ليدرك ان اللقاء بينهما لن يكون وديا . . وقبل ان يسمع نبرات تيل القاسية الصارمة عرف ان هناك معركة ستنشب بعد لحظات .

وقال تيل فى حدة : لقد انتظرتك يا لوبين .

ـ اذن فقد جئت قبل الموعد يا صديقى . . ام لعلك تريد ان تلتمس بذلك عذرا عن عبوسك وتجهمك فى وجهى !

فصاح تيل وهو يقرض على اسنانه : كفى . . فلست اريد ان اسمع هذا الهراء بعد اليوم . . انك تعـــلم السبب الذى دعانى الى انتظارك . . اتعرف ما هذا . . ؟

وابرز من جيبه ورقة مطوية فقال لوبين وقد رفع حاجبيه دهشا : ماذا . . أمر جديد بالقبض على . .

فقال تيل فى هدوء : لقد كنت احمق يا صديقى حين تركت طابعك على جثة الرجل الذى قذفت به من سيارتك بعد ظهر اليوم فى حديقة ريشموند انى اقبض عليك يالوبين رهن التحقيق بتهمة القتل مع سبق الاصرار .

ـ ١٠ ـ

اخذ لوبين بذراع تيل واجلسه فى مقعده ثانية .

ولعل لوبين هو الرجل الوحيد فى العالم الذى يستطيع ان يواجه هذا الموقف بمثل ما الذى من قلة اكتراث وعـــدم مبالاة وهو ايضا الوحيد الذى يستطيع ان يطفىء حماسة تيل وقوة اندفاعه بابتسامة . . أو كلمة .

وقال تيل وقد افاق من خضوعه لسيطرة لوبين :

ـ تبالك . . ماذا انت فاعل بى . . الا تعلم انى القيت القبض عليك ؟

فمد لوبين ساقيه امامه وقال :

ـ حسنا . . انى مقبوض على . . فماذا تبغى !

ـ يجب ان امضى بك الى السجن . . رهن التحقيق .

ـ سمعتك تقول هذا من قبل . . ولكن لم التعجل . . ؟ ان ابواب السجن توشك ان تغلق . . فدعنا نتناول الشاى اولا . . وفى خلال ذلك تحدثنى عن ذلك الرجل المفروض انى (حذفته) من الوجود . . قلت انه رمى من سيارة ؟

ـ من سيارتك انت . . سيارتك الهيرونديل .

ـ ولكن لم تكون سيارتى بالذات . . اكل هيروندويل فى هذه المدينة ملك لى ام لعلك تظن ان مصنع هيروندل لايخرج سياراته الا لاجلى خاصة .

فقال تيل فى لهجة تدل على نفاد الصبر :

ـ يمكنك أن تحدث قاضي التحقيق بكل هذا .. ليس من شأني أن أصغى الى دفاعك .. أن واجبي يقضي على أن أمضي بك الى أقرب مخفر للبوليس فأودعك السجن فيه حتى الصباح . وهذا هو ما أنوى عمله .. ان في انتظارى نفرا من الرجال عند كل مدخل من مداخل المشرب .. فخير لك أن تسلم نفسك وأن تكف عن كل محاولة للفرار .. لقد كنت موقنا من انك ستوافيني هنا في الساعة الرابعة برا بالموعد الذى بيننا .

فضحك لوبين وقال :

ـ اذن فانت تعتقد انني أمضي بعد الظهر اقتل الناس واقذف بهم الى عرض الطريق من سيارتي ثم اذهب مسرعا الى لقائك وهل تظن ان الحماقة تبلغ بي حدا يجعلني استعمل سيارتي الهم وندبل التي يعرفها كل شرطى في لندن لاسهل عليهم اكتشاف شخصيتي .. اسمع يا تيل .. اني في بعض الاحيان اسائل نفسي عما اذا كنت لا ازال عاقلا لم يتركني الخبال ..

فنظر اليه تيل في هدوء وقال :

ـ استمر .. حدثني بما لديك .. اني احب ان اسمع دليل براءتك الجديد .. فما من جريمة ارتكبتها الا وجدتك قد تهيأت للأمر من قبل ودبرت ما تثبت به انك كنت في مكان آخر ساعة وقوعها .. حدثني بدليلك حتى يتسع أمامي الوقت لتفنيده قبل مثولك امام المحكمة .

فقال لوبين مقاطعا : وكيف ازودك بدليل البراءة وانا لا اعرف الوقت المفروض اني ارتكبت فيه جريمتي .

ـ انك تعرف تماما ..

ـ دعك مما اعرف .. وحدثني بما تعرف انت .. في اية ساعة قذفت بالجثة من سيارتي .

ـ بعد الثالثة بدقائق .. وقد قتل فسل القاتل من السيارة بدقائق .

فتناول لوبين سيجارة وهو يقول : هذا معناه اني ساعجز هذه المرة عن اقامة الدليل على بعدي عن مكان الجريمة .

فتألقت عينا تيل ببريق الانتصار وقال : اذن فلم تكن موفقا في هذه المرة .

ـ أوه . كلا .. كل ما في الامر اني كنت انظر الى المسألة نظرتك انت .. في الساعة التي تقول عنها كنت في مصنع السيارات افحص جهازا جديدا لتخفيف دوى المحرك . وقد فحصت الجهاز طويلا في حضور الميكانيكي ومدير الادارة ورئيس العمال ونفر من العمال .. وكلهم يشهدون بذلك . اني اعلم طبعا انك ستقول ان هؤلاء الرجال جميعا يناصرونني لانني اغدق عليهم اموالي . ولكن الشيء المهم هو .. هل تستطيع ان تقنع المحلفين هناك بوجهة نظرك ؟

وحملق تيل في لوبين دهشا . وبدا اشبه برجل اصيب بجاة ببعض حاد .. وتمنى لو يبكي .

ولكن تيل لم ينفجر باكيا . ولم يصب غضبه على قطعة اللبان الامريكي التي يلوكها في شدقيه . فلم يهرسها باسنانه مرة بعد مرة في عنف . وانما حمل نفسه الهدوء . على حين اخذت عيناه تقيسان لوبين في صرامة .. ثم نهض واقفا وقال : انتظر لحظة .

وسار الى رجل طويل القامة كان يتمشى في ركن من البهو فتحدث اليه برهة .. ثم رجع الى مقعده .

ونفث لوبين حلقة كبيرة من الدخان .. وقال :

ـ كان ينبغي ان اغضب واحتج يا تيل . فما كان يليق بك ان ترسل السرجنت بارو على مرأى مني ليتحرى صدق قولي .. كان يحسن بك ان تفعل هذا سرا لا جهرا .. انك تهينني .

ولكن تيل لم يعقب على قوله بكلمة واحدة .. وظل ينظر الى حذائه دون ان تنفرج شفتاه عن كلمة .. حتى اذا راى السرجنت بادو راجعا سار اليه وتحدث معه برهة .. ثم ارتد الى مكانه وقد برقت عيناه .

وقال تيل فى صوت هادىء :

ـ والآن .. هل لك ان تنبئنى كيف قتلت الرجل ؟

فقال لوبين فى غير اكتراث :

ـ بل سانبئك كيف لم اقتله . وصدقنى ياتيل انى تواق الى ان اعرف هذا القاتل الذى ينتحل اسمى ويترك طابعى على ضحاياه من هو هذا الرجل الذى عثرتم على جثته اليوم؟

فقال تيل مجيبا : رجل من رجال البحرية يدعى نانكوك

وفجاة اختفت امارات التهكم التى كانت بادية فى عينى لوبين .. كانت كلمات تيل القليلة مفتاحا للسر الذى استغلق عليه طويلا .. سر مستر هنرى اوبسيت .

- ١١ -

عرف لوبين على الفور السبب فى مصرع نانكوك ..

انه بتدخله فى حادث لفافة الشاى انما حكم على نانكوك بالموت فكانه القاتل .. وان كانت جريمتـــه . على نقيض ما يتمنى تيل .. لاتقع تحت طائلة العقاب .

ان نانكوك هو الرجل الذى كان مفروضا ان تصل لفافة الشاى الى يده .. وعندما اقتحم لوبين المتجر .. كان نانكوك غاضبا يطالب باموالة . وما من شك فى ان جشع نانكوك هو مثار هذا الغضب . ولكن الرجل المستريب .. الكثير الشكوك قد يجد فى هذا الغضب محاولة بائسة لضمير متوجس اليم لكى ينفى عن نفسه الريب .

ان ارسين لوبين هو الذى اخذ اموال نانكوك . وقد دخل الحانوت وقال لاصحابه : انى اعرف الشىء الكثير عن عملكم ؟

فمن الذى افضى اليه بما عرف ؟ نانكوك بلا ريب ! افضى

اليه بالسر لكى يستعيد امواله .

هذا بلاشك هو ما طاف بذهن اوبسيت .

وهذا هو السر فى مصرع نانكوك !

قتل نانكوك .. ورمى من سيارة هيرونديل .. ورشقت فى ثيابه بطاقة تحمل اسم ارسين لوبين .. لعلها احـــدى البطاقات التى اودعها لفافة الشاى . والتى لا تزال عشرات منها ملقاة على مكتب اوبسيت .

وتحول الى تيل قائلا :

ـ تيل .. اريد ان تسدى الى خدمة . لقد عرفت الآن من تحرياتك .. اننى كنت فى مصنع السيارات ساعة وقوع الجريمة . فهل لك ان تكفر عن اهانتك لى اذ الصقت هـذه التهمة بى ؟

ـ اى نوع من التكفير تريد ؟

ـ اريد ان اعرف عنوان صاحب هذا الرقم التليفونى : ٣١٠٠ بركلى .. ان فى وسعك ان تسال مصلحة التليفونات عن هذه المعلومات . اما انا فلا استطيع .. دعنى اعرف اين يقيم صاحب هذا التليفون .. فاقدم اليك قاتل نانكوك مع حزمة من امواله .

فكتب تيل الرقم فى مفكرته ونظر الى لوبين فى استرابة وقال : واى علاقة بين هذا الرقم وبين ما نحن فيه ؟

ـ علاقة وثيقة .. وربما لم تكن هناك علاقة على الاطلاق ومهما يكن من امر فلا تضيع وقتك بمراقبة المكان فانك لن تستطيع ان تتبين سر الامر .. دعنى اتكفل بكل شىء .

ـ اذن فانت تعرف شيئا عن هذه الجريمة ؟

ـ ربما كنت اعرف .. وربما كنت اخمن .. على اية حال ساكاشفك بما فى نفسى فيما بعد ولكنى اسالك شيئا واحدا هو ان تسدينى هذه الخدمة دون تسالنى ايضاحا .

وغالب تيل ما بنفســه .. ثم قال اخيرا :

ـ حسنا واين اجدك حين احتاج اليك ؟

ـ في منزلي .. سالزمه حتى تتصل بي .

وللمرة الاولى ذكر لوبين الغاية من هذه المقابلة فدس يده في جيبه . واخرج لفافة صفراء مستطيلة وقال :

ـ كدت انسى .. جرب هذا الشاى فانه مفيد للكرش واني متأكد من انه سيزيد في ضخامته وبروزه .. وارجوك ان لاتنسني في سرك !

وطلب لوبين الى تيل ان يمضي به الى ادارة سكوتلانديارد في سيارة البوليس سترا للمظاهر وان يمر بداره حتى اذا كان هناك نفر من اعوان اوبسيت يرقبون البيت عرفوا انه وقع في الشرك الذي نصب له وزج به في السجن .

على انه مادخل ادارة سكوتلانديارد من باب الا ليغادرها من الباب الآخر .. وقد مضى الى داره ودخلها من باب خلفي تلقاه ملاحظ العمارة بقوله :

ـ منذ ساعتين جاء الرجال الذين قلت لي انهم سيحضرون لقياس النوافذ لتزويدها بستائر جديدة . وقد اذنت لهم بالدخول تنفيذا لامرك .

ـ شكرا ياسام .

وصعد الى مسكنه فوجد باتريشيا هولم في انتظاره فابتدرها بقوله : ان برنامج شاى ميراكل سيبدأ بعد عشر دقائق فينبغي ان نصغى اليه .

فرفعت رأسها ونحت الكتاب الذي كانت تطالع فيه وقالت : هل علمت بامر قياسي النوافذ الذين حضروا منذ ساعتين ؟

ـ انبأني سام بامرهم .. فهل تعتقدين ان في وسعي الان ان انال شهادة في صدق التنبؤ ! لقد توقعت بعدما حدث هذا الصباح ان يبعثوا ببعض اعوانهم يجوسون خلال الدار بحثا عن مال جرير .. هل ذهبت به سالما الى ويبردج ؟

ـ نعم .. وقد اتسعت له حقيبة السيارة .. ولحسن الحظ انه لم يختنق .

فضحك لوبين وجلس الى مكتبه يفحص مسدسه وهو يقول : مهما يكن من امر فلا شك انه يفضل حقيبة السيارة على النعش الذى اعده له اوبسيت .. هيا يا عزيزتي اديري جهاز الراديو على محطة كالفاروس .

وراحت باتريشيا تضبط الجهاز على حين كان لوبين منهمكا في تهيئة مسدسه كأنما كان يعلم ان حياته معلقة بسرعة تحرك الزناد .

وقالت تسأله :

ـ وقع بلا ريب حادث جديد .. ولكنك تكتمه عني ؟

ونظر اليها لوبين طويلا دون ان ينطق بكلمة واحدة . ثم قال : وستقع حوادث اخرى اشد خطورة وعند ذلك سابرهن لك من جديد على اني عبقري موهوب .

وكادت باتريشيا تجيب لولا انه اشار اليها بيده يامرها بالتزام الصمت .

بدا الراديو يردد « انشودة الربيع » فنظر لوبين في ساعته وادرك ان برنامج شركة ميراكل قد بدأ . وان هذه الانشودة هي الاستهلال .

واذ انتهى اللحن الموسيقى ارتفع صوت يقول :

ـ هذه الانشودة غناها رجل كان مصابا بعسر الهضم انهاها بشفائه على اثر تناوله قدحا من شاى ميراكل .

واعقب هذا بيان عن مزايا هذا الشاى وفوائده ثم انشودة موسيقية اخرى .

وتنهدت باتريشيا وقالت :

ـ رباه . امن الضرورى ان نصغى الى هذه الموسيقى ؟

ـ انتظرى ..

وانتهى اللحن الموسيقى وعاد المذيع يقول :

ـ قبل ان نواصل برنامجنا الموسيقى نحب ان نقرأ عليكم بعض الخطابات التي جاءتنا من المعجبين بشاى ميراكل وفى هذه الليلة سنختار الخطاب رقم الف وستة ورقم الف واربعة عشر ورقم الف وسبعة وعشرين .

وقرئت الخطابات المشار اليها فى حماسة مزعجة مثيرة للاعصاب . وكان لوبين شديد الاصغاء الى المذيع حتى خيف ان يكون ذوقه السليم قد فسد فجاة .

وكان وهو يصغى يعبث بمسدسه وعلى شفتيه ابتسامة وقال المذيع :

ـ والان ايتها السيدات والسادة قد فرغتم من سماع خطابات بعض المعجبين . وهى الخطابات المرقومة فى سجلاتنا برقم الف وستة والف واربعة عشر والف وسبعة وعشرين .. هؤلاء الرجال عالجوا عسر الهضم بتناولهم شاى ميراكل .. فدعونى احثكم على تناوله .. لاتنسوا تناولوا الليلة شاى ميراكل .. والآن استمعوا الى اغنية « اعطنى قدحا من الشاى » .

وكانت هذه الاغنية هى نهاية برنامج شركة شاى ميراكل واغلق لوبين الراديو .

وتحولت اليه باتريشيا وفى نبراتها تمرد خفى :

ـ والآن ! الا تريد ان تتكلم وتوضح .

ـ ولكنك سمعت مثلما سمعت ؟

ـ انى لم اسمع ما يستحق ان يسمع .

ـ ولا انا ! وذلك ما يثير عجبى .. ليس فى هذا البرنامج ما يستحق ان يسمع . كنت اتوقع ان اجد فيما اسمع طريقة سرية للمخاطبة واصدار الاوامر . ومن كان مثلى خبيرا بمثل هذه المسائل لا يصعب عليه ان يدرك اذا كان هذا البرنامج يتضمن شفرة سرية ام لا .

فقالت باتريشيا :

ـ وما رأيك فى الارقام ؟

ـ نعم الارقام .. الف وستة .. الف واربعة وعشر .. الف وسبعة وعشرون .. ان « الالف » حشو للتعمية والتضليل . اما الارقام الاخرى ٦ ـ ١٤ ـ ٢٧ فهى بلا ريب مفتاح اللغز . انها ارقام لها معناها الخاص فى الشفرة السرية . اشربوا شاى ميراكل الليلة . اى يمكن ان يقال ان على اعضاء العصابة رقم ٦ ـ ١٤ ـ ٢٧ ان يبتاعوا الليلة لفافة من شاى ميراكل ! وهذه الاذاعات تجرى كل يوم .. ومعنى ذلك ان الرئيس الخفى يستطيع ان يتصل برجاله كل ليلة ويصدر اليهم اوامره بهذه الطريقة .. ويمضون الى الحانوت ويتلقون اوامرهم فى طيات لفافات الشاى .. هذا هو تعليلى الوحيد لهذه الاذاعات وتفسيرى لهذه الارقام .. وهذه بلا ريب هى احدث الاساليب فى التنظيم الاجرامى .. فاذكى شرطى فى العالم لا يمكن ان يجد حلقة اتصال بين اذاعة عامة وشخص معين من مئات الالوف الذين يصغون الى هذه الاذاعة .. وحتى اذا كان احد اعوان الزعيم مستهدفا للشكوك والمراقبة . فان هذه الشكوك لا تتطاول الى الزعيم مطلقا . .

فقالت باتريشيا : ولكنك لم تنبئنى بعد بما ..

ودق جرس التليفون قبل أن تتم جملتها .

وتناول لوبين السماعة وسمع صوتا يقول :

ـ ادارة سكوتلانديارد تخاطبكم .

وبعد لحظات سمع صوتا آخر مألوفا يقول :

ـ انى تيل .. لقد عرفت عنوان صاحب الرقم التليفونى ان المشترك يدعى البارون اسكو وهو يقيم بالمنزل رقم ١٦ بشارع أتلى بميدان بركلى .. والآن ما هو جزائى على تزويدك بهذه المعلومات ؟

فابتسم لوبين وقال :

ـ حسنا انك تستحق هذا الجزاء .. اسرع الان وبعث نفر من رجالك الى متجر اوسبيت للعقاقير والبقالة .. رقم ٩٠٦ بشارع فيكتوريا . ذلك المتجر الذى ابتعت انت منه لفافة الشاى ومن الآن فصاعدا سيدخل الحانوت ثلاثة رجال وسيطلب كل منهم لفافة شاى ميراكل .. وليس فى وسعى ان اصفهم لك .. ولكن يكفى ان ترسل احد رجالك الى كل من يغادر الحانوت ومعه لفافة شاى فيسأله :

« هل انت ستة او اربعة عشر او سبعة وعشرون » فمن تلقى السؤال فى استغراب فهو برىء ومن تلقاه فى ذعر فهو رجلنا المنشود . ويجب ان تضع يدك ايضا على لفافة الشاى التى يحملها .

فصاح تيل فى استغراب :

ـ شاى ميراكل .. الى الفنى .. عليك !

وامسك عن الكلام ورد لسانه عن الانطلاق بالشتائم التى كادت تفلت منه .

ثم اردف يقول :

ـ اسمع .. اتريد ان تمزح ؟

فقال لوبين : انى لم اكن فى حياتى اكثر جدا مما انا الآن اقبض يا تيل على هؤلاء الرجال الثلاثة واقبض على لفائف الشاى التى معهم .. وستجد فى طياتها شيئا مفيدا .

فقال تيل فى نبرات غاضبة : اذا خطر لى ان ..

فقاطعه لوبين على عجل :

ـ انى اعرف انه لن يخطر لك شىء فلا ترهق ذهنك بالتفكير ارسل شرذمة من رجالك الى المتجر .. واسرع والا افلتت منك العصافير .. اما انت فالزم التليفون فقد اتصل بك بعد ساعة لاسلمك الزعيم العظيم .

ـ ولكنك لم تنبئنى ..

غير ان لوبين لم يفسح له مجالا للقول .. ورد السماعة

مكانها على عجل وقطع الحديث .

وتناول لوبين مسدسه فدسه فى جيبه . ثم وقف برهة ساكنا وقد بدات ابتسامة رهيبة تشيع فى وجهه ..

ابتسامة النضال والكفاح !

ـ ١٢ ـ

يقع المنزل رقم ١٦ بشارع اشلى بين صفوف من المنازل المزدحمة المتراصة التى يتيح لها هذا الازدحام فرصة للتستر والتضليل .

وكانت الاضواء تشع من بعض النوافذ دلالة على ان فى البيت نفرا من سكانه . ولكن لوبين لم يكن بالرجل الذى يحفل بهذه العقبات بل انه على النقيض من ذلك كان يتمنى ان يجد صاحب الدار .

تقدم لوبين الى الباب فى غير تردد كانه زائر مدعو بينه وبين صاحب الدار موعد لتناول العشاء ووضع اصبعه على الجرس ..

كان باسما هادئا .. ولكن روح النضال كانت تتوثب بين جوانحه وكان يعلم انه مقدم على معركة كبيرة .

اما يده الاخرى فوضعها بين طيات ثيابه كانما ليصلح من رباط رقبته .. ولكن يده كانت على مقبض مسدسه .

وفتح الباب .. وفى فجوته ظهر خادم ضخم كبير الجسم وقاسه لوبين بنظرة شاملة .

لقد جرت العادة ان يكون رؤساء الخدم ضخام الاجسام ولكن جرت العادة ايضا ان يفروا هاربين او يستخذوا مهزومين عند اول بادرة من بوادر الخطر .

وقال لوبين : هل البارون انسكو موجود ؟

ـ ان البارون غير ..

وابتسم لوبين .. ودفع فوهة مسدسه الى الكرش القائم امامه وارتد الخادم خطوة الى الوراء فزعا وتقدم لوبين فى اثره

وبقدمه دفع الباب فاوصده . ثم قال :

ـ ادر ظهرك الى ناحيتى .

واطاع الخادم فى غير تردد . على انه ما كاد يستدير حتى كان لوبين قد رفع مسدسه واهوى بمقبضه على راس الخادم وتقوست ساقا الخادم .. ثم ترنح وهوى الى الارض فاقد الرشد .

ومرت لحظات ولوبين فى مكانه يرهف السمع .. ترى هل احدثت ضربته اثرا .. ومرت لحظات دون ان يصدر صوت من ارجاء البيت .

ودار لوبين ببصره فى انحاء البهو .

ورأى فى ركن منه بابا صغيرا كانه باب غرفة للمعاطف .

ووضع لوبين مسدسه فى جيبه وجر الخادم على الارض حتى اذا انتهى به الى ركن البهو اودعه غرفة الثياب واغلق عليه الباب ودس المفتاح فى جيبه وهو موقن من انه لن يستفيق عاجلا .

وطاف لوبين بالابواب الاخرى واحدا بعد الآخــــر وهو يتسمع عندها . ثم وقف عند راس السلم المفضى الى القبو وسمع صوت الاوانى فعرف ان الخدم منهمكون فى اعمالهم .

وان هى الالحظات حتى كان يصعد الدرج مسرعا .

واذ بلغ الطابق الاول راى بصيصا من النور ينبعث من تحت عقب الباب .

واقترب لوبين من الباب .. وارهف السمع . فسمع نقرات آلة كاتبة .

وبعد لحظات سمع رنين جرس التليفون وصوتا يقول :

ـ نعم .. نعم .. فيرتون .. ؟ هاك صورة ما سيلقى فى اذاعة الساعة التاسعة : « لماذا تعانى سوء الهضم والعــــلاج سهل ميسور . .قدحان من الشاى تريلان آلامك .. اثنان فقط ..! اربعة اقداح تاتيك بالشفاء التام .. ! فلماذا لا تاخذ

اربعة .. ولكنك بعد القدح السادس عشر ستنسى انك كنت مصابا بعسر الهضم . .فكر فى ذلك .. ستــــة عشر قدحا ستجعلك تصغر عشرة اعوام .. الا تريد ان تشعر بانك اصغر سنا مما كنت بعشرة اعوام .. ؟ عليك الليلة بشاى ميراكل!. » هل كتبت يا فرتون كل هذا .. حسنا .. طاب مساؤك ..»

وارتدت السماعة مكانها .. !

وابتسم لوبين .. هذه الارقام التى ستتضمنها الاذاعة هى ارقام رجال العصابة .. !

وفى غير تردد فتح باب الغرفة .

وانتبه الرجل الجالس الى المكتب على الصوت فاستدار على عجل كانما لسعته حية .

وقال لوبين يحييه : طاب مساؤك يا بارون .. !

وكان باسما .. انيقا .. وفى ابتسامته خطر رهيب .

نظر اليه البارون نظرة جامدة مصعوقة .

على ان الخوف الذى ملأ عينيه ما لبث ان تبدد وحل مكانه لهيب من الغضب .

وصاح يقول : ما معنى هذا .. ؟

ـ معناه خمسة عشر عاما فى السجن . .! وسيفيــــدك طبعا هذا التغيير . ! ان طعام السجن صحى لك .. واحسبك فى حاجة الى هذا التغيير .. لتذوق لونا من الحياة لا عهــد لك به من قبل .. !

انى صديق لك منذ القدم وان لم نلتق .. انى اقرا انباءك فى الصحف دائما .. البارون انسكو فى زيارة سير الدرو .. البارون انسكو يشترك فى سباق اليخوت . انك رجل بارع يا بارون ام لعلك تؤثر ان القبك باسم هنرى .

فقال البارون فى صوت هادىء :

ـ انك تعرف اشياء كثيرة يا مسيو لوبين .

ـ اعرف ما يكفى لارسالك الى سجن دارتمـــور ..

اعرف انك زعيم عصابة الجاسوسية التى حار تيل المسكين طويلا فى امرها . واعرف انك شـــديد الدهاء والحرص . وما كان امرك لينكشف لولا العناية الالهية التى تدبر الامور بطريقة لا يجدى معها حرص البشر . لقد انبانك يا عزيزى فى هذا الصباح انى اعرف الشىء الكثير ولـكنك ابيت ان تصدقنى .

فهز الرجل كتفيه فى غير اكتراث وقال :

ـ انى لا استطيع أن أصدقك .. ولكن خبرنى ما الذى تعرفه عدا هذا ؟

ـ اعرف كل شىء من اذاعاتك فى الراديو .. واذا كان يهمك أن تعرف فاعلم اذن ان رجال البوليس الآن فى انتظار رجالك رقم ٦ و٢٤ و٢٧ عندما يحضرون لاخذ لفائف الشاى واعرف ايضا انك بدلا من اظهار استعدادك لدفع العشرة الآلاف جنيه التى فرضتها ضريبة عليك اردت أن تلفق ضدى تهمة ترسلنى الى المشنقة .. ولست احب هذا الاسلوب فى المعاملة يا هنرى اوبـيت .

فقال البارون :

ـ انى اعتذر . . وستنال ما طلبت صباح الغد .

فهز لوبين راسه وابتسم وقال :

ـ منحتك الفرصة فركلتها بقدمك . فالذنب ذنبك اذن . وساصيب من اموالك ما ابغى دون حاجة الى استئذانك .

ورأى بصر البارون يتجه على رغمه الى الخزانة القائمة فى ركن القاعة . فابتسم وقال :

ـ اعطنى المفاتيح من فضلك .

وتردد البارون لحظة قبل أن يتحرك . ولكن المسدس المصوب اليه لم يدع له مجالا للتردد .

وضع يده فى جيب بنطلونه الخلفى واخرج حلقة من المفاتيح القاها على المكتب وهو يقول فى صوت هادىء :

ـ انى اقدم اليك المفاتيح من تلقاء نفسى يا مسيو لوبين . لاننى اعلم ان فى وسعك أن تنتزعها منى كرها . ولكنك احمق طائش .. ليس فى الخزانة الا ثلاثة آلاف جنيه .. فلم لا تنتظر حتى الصباح . ؟

ـ لانك فى الصباح ستكون منهمكا فى تهيئة مذكرة بالدفاع عن نفسك .

وسار الى الخزانة ولكنه لم يتناول حلقة المفاتيح وانما ارسل بصره الى فرخ الورق المثبت على الآلة الكاتبة .

وكان بصره فى الوقت ذاته عالقـــا بالبارون بحيث اذا بدرت منه حركة كان معناها انطلاق رصاصة تغيب فى صدره وكان هذا هو ما فرغ البارون من كتابته :

« بالاشتراك مع رقم ٤ و ١٠ و١٦ تذهب الى شلتنهام وتراقب سير رولاندهيل . وفى خلال اربع وعشرين ساعة تبعث الى بتقرير عن الكيفية التى ترسل بها الرسائل المستعجلة الصادرة من وزارة الحربية . اذ لا شك ان بعض هذه الرسائل سترسل الى سير رولاند . فتبين الطريقة .. »

وعاد لوبين ينظر الى البارون ويقول :

ـ الا ترى أن هذه التعليمات دليل حاسم . وسيكتفى به المفتش تيل . !

فقال البارون هازئا :

ـ وهل تراهم يكذبوننى حين اقول لهم انك سددت الى مسدسك .. ثم كتبت هذه التعليمات على آلتى الكاتبة لتتخذ منها دليلا ضدى .. !

فضحك لوبين وقال :

ـ ان لك اسما محترما سيحملهم على تصديقك .. لاسيما حين يجدوا أن البصمات الوحيدة الظاهرة على مفاتيح الآلة الكاتبة هى بصماتك انت .. !

فلم ينهزم البارون وانما قال :

ـ اذن فقد ارغمتني على ان اكتب هذه التعليمات تحت وطأة مسدسك .

ـ والتعليمات المودعة فى لفائف الشاى لكى يأخذها رقم ٦ و١٤ و٢٧ انما صدرت من هذه الآلة الكاتبة بالذات فهل انا الذى ارغمتك ايضا على كتابتها ؟

فرطب البارون شفتيه وقال :

ـ دعنا نتحدث فى هذا .

ـ ابدا انت الحديث .

ورفع سماعة التليفون وادار الرقم الخاص بالاتصالات الخارجية وقال :

ـ أريد ان اتصل بفرنسا .. براديو كالفاروس .

فازدرد البارون لعابه وقال :

ـ لحظة واحدة .

فقال لوبين مستطردا :

ـ وهناك ادلة أخرى .. ستجد انك دائم الاتصال براديو كلفاروس فى باريس . .! وستجد فى ركن هذا البيت شاربك المستعار الذى تتخذه كلما تقمصت شخصية هنرى اوبسيت .. وقد تجد اللحية السوداء التى اتخذتها عندما قابلت ماك جوير وهو خارج من سجنه .. !

وادار لوبين القرص . وبعد لحظات تم الاتصال . فقال :

ـ اعطنى مستر فرنون من فضلك .

وتناول علبة سجائره واشعل سيجارة .

وبعد لحظات سمع صوتا يقول :

ـ هالو .

فقال لوبين : فرنون .. !

وكان صوته شبيها بصوت البارون .. بدرجة متقنة .

ثم استطرد :

ـ اسمع ساعدل الاذاعة الليلة .. ! اجعلها على الوجه الآتى : « يقولون ان كثرة الارقام دليل النجاح .. وفى هذه الحالة يمكنك ان تقول ان شاى ميراكل قد نجح نجاحا تاما .. ! فى ملفاتنا ارقام كثيرة على خطابات كثيرة .. كلها اطراء لشاى ميراكل . ! هذا الثناء صادر من « جميع الارقام » جميع الارقام فلماذا تتخلف انت .. ! كن كغيرك .. عليكم «جميعا» ان تبتاعوا شاى ميراكل .. ! اشتروا جميعا من هذا الشاى .. اياكم ان يتخلف احد منكم » هذه هى الاذاعة التى أريدها يا فرنون .

ورد السماعة مكانها .

وصاح البارون :

ـ انك مجنون .. ! لقد ضيعت على نفسك ثروة جسيمة .

فهز لوبين كتفيه وقال :

ـ حسبى الثلاثة آلاف .. !

ـ انك فرنسى فلم تحقد على الجواسيس ما داموا يعملون فى انجلترا .. !

فلم يحفل لوبين بالاجابة وانما ادار رقما آخر .

وبعد لحظات قال : ـ اريد ان اتحدث الى المفتش تيل ؟

ثم تحول الى البارون قائلا :

ـ هناك شىء هام قد نسيته يا بارون .. نعم .. انى احب المال .. ولكن فى الوقت ذاته أحب أن يسمينى الناس رسول العدالة .. واذا ما ذهبت الى سجن دارتمور فستقابل هناك زملاء لك .. فسلم عنى .. سيقولون لك انى فى بعض الاحيان اركل الكنوز بقدمى .

وجاء تيل الى التليفون .. فقال لوبين :

ـ هالو .. تيل .. كيف حال كرشك الآن .. ؟ لاتغضب اذا .. كان هذا الحديث يضايقك فلن اطرقه مرة اخرى .. ماذا فعلت .. هل قبضت على ٦ و١٤ و٢٧ و... ؟

وانصت لوبين برهة الى حديث تيل ثم قال :

ـ الم انبئك بهذا .. والآن يمكنك أن تودع جرابك ارقاما اخرى .. الليلة .. بعد الساعة التاسعة .. ستجد حشدا من الناس يهرع الى مخازن عنرى اوبسبت ليبتاع شاى ميراكل .. اقبض عليهم جميعا .. ارسل رجالك لمحاصرة الحانوت واقتناصهم اما انا فساكون فى انتظارك ومعى الزعيم العظيم .. اين .. ؟ ان العنوان هو . عن اذنك .. !

كان ارسين لوبين ممسكا بسماعة التليفون فى يد وبالمسدس فى اليد الاخرى . فكان مستحيلا ان يفعل ما فعل . ولكن المرآة طارت فى الهواء فى قوس منتظم وسقطت فوق المكتب وغاب نصلها فى الخشب على قيد بوصة أو بوصتين من اصابع البارون التى كانت تتحرك فى خفة الى جرس خفى فى حافة المكتب .

واسترسل لوبين حديثه كأنما لم يحدث شيء ذوبال . قائلا :

ـ العنوان هو ١٦ شارع اشلى بميدان بركلى .. منزل البارون السكو .. نعم .. هو بعينه .. انها صدفة عجيبة حقا .. وستجد فى انتظارك جميع الادلة التى تريدها فما الذى يدعوك الى التذمر الى فى انتظارك .

فقال تيل فى صرامة :

ـ سارسل احد مساعدى .. فشكرا لك .

فقطب لوبين جبينه فى استغراب وقال :

ـ سترسل احد مساعديك .. ؟ ولم لا تحضر انت بنفسك

ـ لانى مشغول .. لا يسعنى ان اغادر مكتبى الآن .. ولكنى سارسل احد زملائى .

فهز لوبين كتفيه وقال : ولكن لماذا . ؟ ما السبب؟

وأباه تيل بالسبب .

ـ ١٣ ـ

بعد اسبوعين من هذا الحديث كان ارسين لوبين جالسا على مقعد مواجه لمكتب المفتش تيل فى ادارة البوليس .

عرضت قضية البارون السكو على المحكمة الابتدائية فقررت احالة البارون ونحو ثلاثين من اعوانه على محكمة الجنايات .

ـ كان ينبغى على الاقل ان تتصل بى تليفونيا لتسدى الى اخلص عبارات الشكر اذ جعلت منك شرطيا عظيما .. !

فدفع تيل الى فمه بلفافة من اللبان الامريكى وقال :

ـ انى آسف .. اردت حقا ان افعل هذا .. ولكننى كنت مرهقا بالعمل .. ومهما يكن من الامر فقد خرجت القضية من يدى الآن . والنائب العام شديد الاغتباط وان كان مما يؤسف له اننا لم نستطع ان نجمع من الادلة ما يثبت على البارون السكو تهمة قتل ناتكول .

فقال لوبين :

ـ انك تبدو مبتهجا يا عزيزى تيل كانك قد شفيت من عسر الهضم .

فابتسم تيل وقال :

ـ انى احسن حالا .. وهذا هو الشيء الذى يحيرنى فقد كان فى وسع البارون السكو ان يربح ارباحا جسيمة من شاى ميراكل فانه حقا علاج ناجح للاضطرابات المعوية .

فضحك لوبين وقال :

ـ الم اقل لك يا تيل انك لا تصلح شرطيا .

فقطب جبينه وقال : ماذا تعنى ؟

ـ اعنى ان الشرطى الصادق النظرة كان يمكن ان يعرف ان لفافة شاى ميراكل قد فضت فى حذر ثم اعيد الصاقها .

ـ ماذا تقول . ؟

ـ اقول انى فضضت الغلاف وخلطت بالشاى بعض

مواد مفيدة لازالة سوء الهضم .. ثم الصقتهـــا كما كانت وبعثت بها اليك .

ـ أنت فعلت هذا . !

ـ نعم .. ام لعلك تجهل انى احب كرشك العظيم .

فاغمض نيل عينيه وقال وهو يتعذب : قبحك الله !!

القسم الثانى
الثعلب

قال لوبين : من دواعى الغبطة والارتياح ان يراك الانسان مبرزا فى مهنتك .. لا يجرؤ احد على تحديك او مجاراتك ، برغم التناحر والتلاحم الناشب بين الناس فى هــذه الايام العصيبة .

واصغى رفيقا لوبين الى هـــذه العبارة المتزنة باحترام مصطنع .. فقد طالما سمعت باتريشيا هولم مثل هذا المديح المتواضع من قبل .. ولكنه كان جديدا بالنسبة الى روجر مساعد آرسين لوبين وصديقه .

وكانوا قد تقابلوا فى فندق بيكاديللى على موعد لتعاطى الكوكتيل .. ولكنهم لم يعباوا كثيرا بما كان فى عبارة لوبين السالفة من مبالغة ومغالاة فى التقدير ..

ذلك لانه ظهر للوبين منافس خطــر فى الايام الاخيرة .. وكان ذلك الغريم يتمتع بنصيب وافــر من الذكاء والدهاء وطول الباع فى الاجرام حتى لقد احتلات اعمدة الصحف بانباء غزواته ! وطغى اسمه على اسم لوبين ، فلم يعد اسم الاخير يذكر الا فيما ندر .. وراح الناس يتحدثون عن الثعلب فى كل مكان : فى صالات الموسيقى .. فى المسارح .. ودور عرض الافلام .. واما رجال البوليس فكانوا يضربون رؤوسهم فى الجدران مغيظين محنقين .. بينما انهــالت عليهم الصحف بقوارص الكلم . ووجهت اليهم حملة شـــعواء لتهاونهم

وتغاضيهم عن ذلك اللص الجرىء .

واما اصحاب المجوهرات ، والآلىء الثمينة فانهم هرعوا الى المصارف يودعون كنوزهم فى خزاناتها الضخمة خوفا من ان تمتد اليها يد ذلك اللص المستهتر .

ولا عجب . . فقد كان اللص الجديد من هـــواة جمع الجواهر .. يسعى اليها اينما كانت . . وتمتد يده فى الظلام فتقتنص منها ما يروقه .. ويسيل له لعابه .. بل لقد بلغت به الجراة والاستهتار ان اقتحم جروسفينور هاوس حيث كانت الليدى بالفيرى تحيى حفلة خيرية .. وجرد الحاضرين جميعا من حليهم وفر بحمله الثمين دون أن يتمكن احـد من اعتراضه او القبض عليه .

وقامت قيامة الصحف . . وهاج الراى العام .. وذعر رجال البوليس وهبوا الى مطاردة اللص ، وهم لا يعلمون من امره شيئا .

وما كادت الضجة التى احدثها ذلك السطو الجرىء تخف قليلا حتى اغار الثعلب على قصر السير بارنابى جيرالد فى ساحة بركلى .. وسرق عقدا ماسيا نادرا تقدر قيمته باربعة الاف من الجنيهات من خزانة ضخمة مبنية فى جدار غرفة مكتبة السير بارنابى .

وقد ارتكب اللص جريمته اثناء أن كان صـاحب الدار يقيم مادبة عشاء لبعض اصدقائه ، فى الغرفة الملاصقة لغرفة المكتبة .

و فى الليلة التالية اقدم الثعلب على عمل مثله فى الجراة والاستهتار . . اذ سطا على حانوت جوهرى كبير فى بوند ستريت .. فحطم الخزانة واختار من بين محتوياتها ما غلا ثمنه وخف حمله .. ثم لاذ بالفرار .

وما مضى اسبوع حتى غطت انباء مغامراته على انباء الجان جيف وعصبة الامم .. بل وعلى انباء القصر الملكى .

وكانت الدلائل جميعها تشير الى ان هذه الغارات الثلاث انما رسمت خططها بعناية تامة .. وتمحيص دقيق .. كما كان من الواضح ايضا ان هذه الجرائم هى الا بداية لسلسلة من جرائم مدبرة من قبل ..

وقد وجد مخبرو الصحف » واغلبهم لا يملك مما نقل جمله وزهـد ثمنه شيئا « فى الثعلب ملاكا هبط عليهم من السماء ، يزودهم بانباء مغامراته ، بعد ان كانوا يعانون مشقة وتعبا فى الحصول على نبأ يثير اهتمام الجمهور . ولم يبخل عليهم بما ينشدون فتتابعت غاراته ، وغزواته ، حتى شبع الجمهور .

ومضت فترة هدوء ، وخيل للناس ان الثعلب قد قنع بما اصاب من غنائم وانسحب من الميدان بعد ان امتلات خزائنه .

ولكنهم كانوا مخطئين .. لقد ظهر الثعلب فى الميدان مرة اخرى .. وارتكب سطوا جريئا من نوع جديد .

ذلك انه اقتحم منزل مسز ولبوريج تولى فى وضح النهار . واستولى على حقيبة جواهرها .. بينما كانت صاحبة الدار تغتسل .

واما الخادمة فكانت قد غادرت الدار فى تلك الاثناء فى مهمة مزيفة .

وقد اطلعت مسز تولى مخبرى الصحف على القصة بحذافيرها ، وصرحت لهم بان اشد ما يؤلمها هو ضياع ماسة مركبة فى ايقونة اثرية ومعلقة فى سلسلة ذهبية . لا تزيد قيمتها على مائتى جنيه .. ولكنها تراث عائلى قديم يتوارثه البنات عن امهاتهن منذ عهد بعيد .

وما كاد الثعلب يطلع على هذا الحديث فى الصحف .. حتى بادر باعادة الماسة فى صباح اليوم التالى .. مشفوعة برسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة وفيها يعرب عن اسفه واعتذاره

وراح الناس يؤولون مسلك الثعلب شتى التأويلات .. فهم لم يسمعوا عن مجرم طيب القلب ، عطوف ، شهم غير لوبين .

بل لقد بلغت الجراة ببعضهم ان قالوا ان هذا اللص الداهية الذى يتستر وراء اسم الثعلب انما هو ارسين لوبين بعينه .

وعلى اثر تداول هذه الاشاعة ، تلقى لوبين زيارة من المفتش تيل .

وقال لوبين بحزن بالغ :

ـ لاول مرة استطيع ان اصارحك باننى لست المجرم يا تيل .

فاه لوبين بهذه العبارة بلهجة تشف عن الصدق .. فاقتنع تيل ببراءته على الفور ..

وكان للوبين رايه الخاص فى الثعلب .. فان خدعة اعادة تحفة مسز تولى لم تجز عليه .. او تذر الرماد فى عينيه .

صحيح ، انه لم يكن يضمر شرا لمسز تولى .. ولكن مجرد اعادة التحفة الاثرية بهذه السرعة ، جعله يعتقد انها انما كانت ترمى الى الظهور .. واجتذاب الانظار اليها . وان الثعلب لم يسطُ عليها قط .

* * *

وعندما كان لوبين يتحدث الى باتريشيا .. هتف روجر :

ـ هوذا رجل يبحث عن المتاعب ! !

واشار الى مقال فى صحيفة (الايفنج نيوز) . وكانت منشورة فوق النضد .

ومال لوبين فوق الجريدة بتثاقل .. وطالع الفقــــرة التالية :

« الرجل الذى لا يخشى اللصوص »

« يهاجم ثلاث مرات ويظفر ثلاث مرات »

« من المحتمل الا يقضى البارون فون دورتفن زائر لندن فى الوقت الحاضر احدى لياليه ارقا مسهدا برغم موجة السرقات التى تكتسح لندن فى الايام الاخيرة ، والتى يحاول رجال البوليس عبثا وضع حد لها .. »

« لقد جاء البارون الى لندن لحراسة سوار شارلمان الذى اعاره لمعرض المجوهرات الدولى الجديد لافتتاحه يوم الاثنين المقبل . »

« والسوار المشهور عبارة عن دائرة من الذهب ، عرضها اربع بوصات . ومطعمة بفصوص من الياقوت النادر .. وهى تزن ثمانية ارطال ولا تقدر قيمتها بثمن . »

« والسوار محفوظ الان فى درج مكتب عادى فى منزل استاجره البارون فى كامبدن لمدة وجيزة ..... »

« ويحرص البارون على حمل السوار معه اينما ذهب .. لما له من قيمة تاريخية عظيمة .. فقد ظلت اسرته تتوارثه منذ خمسة قرون .. ويعتبره البارون كتعويذة مجلبة للحظ . »

« ولقد اعرب البارون عن سخريته من الاحتياطات التى يتخذها اغلب الناس حين يكون فى حوزتهم مثل هذا الارث النادر .. وفى حديث له مع مندوبنا ليلة الامس ، قال البارون : ان المجرم جبان بطبعه . فقد اعتدى على ثلاث مرات ابان رحلاتى .. وحاول اللصوص اغتصاب السوار الاثرى ، ولكنهم فشلوا .. »

* * *

قال روجر معقبا :

ـ يخيل الى ان صديقنا الثعلب سيجد فرصة طيبة لاظهار نبوغه وعبقريته ..

وشد ما كانت دهشة روجر حين لاحظ النظرة التى حدجه بها لوبين .. كانت نظرة صارمة .. لها تاثير فى النفس اقسى من تاثير السهام .

وهتف لوبين : اتظن ذلك ؟

ثم انصرف الى قــــراءة بقية المقال .. وكان منكبا على استيعاب راى البارون فيما يفعله لو حاول احد اغتصـــاب تراثه .

وفى منتصف المقال نشرت الصحيفة صورة لرجل عريض الذقن غزير الشعر .. يضع مونوكلا على احدى عينيه .

وفى اسفل الصورة كان مكتوبا : « البارون فون دورتفن »

فقال لوبين بتامل :

ـ ان له لهيئة كئيبة لا تسر الناظرين ..

فجرعت باتريشيا هولم كاسها فى شىء من العجلة .. فقد كانت تفهم لوبين تمام الفهم .. وكان فى الملاحظة العابرة التى فاه بها ماينبئ عن حديث طويل ..

ادركت على الفور ان لوبين قد اعتزم النزول الى الميدان .. ولكنها لم تستسلم لهواجسهـــا مباشرة .. فاسرعت تقول :

ـ انى اكاد ان اموت جوعا .

فنهض لوبين . وتقدمها الى قاعة المائدة .

وفيما كانت باتريشيا تلتهم ما امامها من شهى الطعام .. اضطجع لوبين فى مقعده الوثير .. واشعل لفافة تبغ .. وقد لاح على وجهه استغراقة فى التامل والتفكير .

ثم قال :

ـ لا تنظري حواليك .. فسيمر السيد من امامنا بعد عتبهة .

ونظر اليه رفيقاه مشدوهين .. وبعد برهة اقبل رئيس الخدم من الخارج ، وبرفقته شخصان .. قادهما الى منضدة في الركن الاخر من الغرفة .. وكان احدهما فتاة شقراء .. انيقة الهندام جميلة الوجه ، هيفاء ، ممشوقة القوام .

واما رفيقها فكان البارون فون دورتغر بغير نزاع .

واطال لوبين النظر الى القادمين .. وتظاهر بالانهماك في تناول الطعام كيلا يجذب اليه انظار البارون ورفيقته .. ولكنه لم يكن يشعر بالرغبة في الاكل .. فالتقط كاسه ، وجعل يرشف منه جرعة جرعة ، وعيناه مستقرتان على القادمين الجديدين .

وراح يشعل اللفافة اثر اللفافة .. فلما بدا الاوركسترا في العزف وتخاصر الراقصون والراقصات اعتذر لوبين لـ الريشيا عن الرقص لالم في ساقه .. ونظر الى دوجر نظرة ذات مغزى .. فرافق هذا الفتاة الى الحلبة .

وقد انضم البارون ورفيقته الى الراقصين .. واشتركا في رقصات عدة . رغم جهلهما بفنون الرقص وحركاته .

واذ خفتت انغام الموسيقى بعد رقصة الوالتز لاحظ لوبين ان الفتاة اخرجت منديلا من جيبها وجففت عينيها .. ثم غادرت الحلبة على الاثر .

ومال لوبين الى الخلف في مقعده .. واشعل لفافة جديدة .. وراح يرقب البارون ورفيقته باهتمام .. وكانا قد جلسا في وضع يمكنه من ملاحظة كل حركاتهما وسكناتهما فولت الفتاة وجهها ناحيته . في حين كان يرى الجزء الجانبي لوجه البارون .

ولاحظ لوبين انهما يتناقشان . وعلى الرغم من انهما كانا

يتحدثان بصوت منخفض فقد ادرك من حركاتهما انهما منفعلان . فقد احمر وجه البارون دلالة على الغضب الجامح . وأما الفتاة فكانت تحاول الظهور بمظهر المعتزة بكرامتها .. ولكنها ، فيما يبدو ، لم تستطع أن تصمد امام زوبعة غضب البارون . فبدا انعكاس هذا الشعور يتلاشى من صفحة وجهها وحل محله الخضوع والاستكانة .

وفجاة .. اسوت الفتاة في مقعدها .. وفاهت بعبارة كان من الواضح انها تركت اثرها في نفس البارون .. فقد ضاقت حدقتاه .. ثم لم يلبث ان قبض على معصم الفتاة بوحشية .. اذ استطاع لوبين ان يرى اصابعها وقد ابيض لونها بعد احمرار من شدة الضغط .. بينما اجفلت الفتاة .. وتاوهت من فرط الالم .. فاطلق البارون يدها واوح قبضته في الهواء بعنف .. حتى انها اصطدمت بملعقة فوق المنضدة فاطارتها من مكانها .. واسقطتها فوق الارض محدثة رنينا حادا .

وفي الحال .. نهضت الفتاة واقفة .. وغادرت القاعة لا تلوي عن شيء .

وفي طريقها الى الباب مرت بلوبين .. فلاحظ ان عينيها مخضلتان بالدموع .. ولكنه اعجب بنظرة العزم التي كانت تتجلى في بريق عينيها .

وكانت تسير بخطى مضطربة .. فلما بلغت لمقعده .. احتكت به احتكاكا خفيفا ، ولكنه كان كافيا لسكب بعض محتويات قدح كان قد ملأه حديثا .

وتحولت الفتاة الى لوبين وقالت بصوت خافت :

ـ ارجو المعذرة .

فحطم لوبين عود ثقاب كان بيده .. ونظر اليها بالعام .. ثم غمغم :

ـ خلي عنك . لقد رأيت ما حدث ، سآتيك بسيارة .

ونهض .. ودار حول المقعد .. فحاولت أن تعترض .. ولكنه لم يترك لها فرصة لذلك .. وقادها الى الدرج .. ومنه الى الردهة .. ثم الى الشارع .

فقالت : انه من كرم الخلق حقا ان تتجشم هذه المشقة .

فقال بصوت منخفض :

ـ أقول لك الحق انه لم يتفق لى من قبل . ان رأيت بارونا له مثل هذه السحنة الكئيبة .

وأومأ لوبين الى احد الخدم .. فاستدعى سيارة .

وذكرت الفتاة للسائق عنوانا فى سانت جيمس وود .. وتحولت لتشكر لوبين .. ولكنه أوقفها باشارة من يده .. ثم صعد الى السيارة بهدوء .. وأغلق الباب خلفه .

وانطلقت السيارة .. قبل أن تجد الفتاة فرصة للكلام أو الاحتجاج .

وقال لوبين : لا تنزعجي . انى احس بحاجتي الى الهواء النقى . ثم ان نواياى شريفة ولعله كان المحتمل ان اقبض على صديقك البارون واصفعه على وجهه لو لم تغادريه فى اللحظة التى هممت فيها بصفعه . اليك لفافة تبغ .. وسأحاول التسرية عنك .

فتقبلت الفتاة اللفافة شاكرة .

واذ كانت السيارة تنحدر الى ساحة بيكاديللى ، فتح بابها فجأة . وبرز من ورائه وجه رجل كان يرتدى ثياب السهرة .

وقال الرجل لاهثا :

ـ أرجو المعذرة ياسيدتى . لم يكن يخطر ببالى انى سأتمكن من اللحاق بك .. أليس هذا قرطك ؟

وقدم اليها قرطا صغيرا . وفيما كان يحول وجهه اليها عرف فيه لوبين ذلك الرجل الفرنسى الذى كان يحتل المنضدة

المجاورة له بمفرده .

واستوت الفتاة فى مجلسها . وعضت على نواجذها . وهتفت : أوه !! شكرا لك ! شكرا لك .

فقال الرجل بمرح : عفوا ياسيدتى .. لقد رأيته يسقط فعدوت فى اثرك .. والآن .. أحسب أن كل شيء على مايرام شد ما أشعر براحة الضمير ياسيدتى .. وأرجو أن تسمحى لي بأن أقول انك امرأة باسلة .!! لقد رأيت أنا أيضا كل شيء .!! هذا البارون ..

وعلى حين غرة .. اخفت الفتاة وجهها بين راحتيها .. وقالت بصوت مختنق :

ـ انني عاجزة عن شكرك ياسيدى .. انت أيضا رجل شهم جم الأدب .

أواه يا الهى .! لو كان فى استطاعتى أن أقتله ! انه شرير يستاهل الذبح وأقل ما يستحقه من عقوبة هو أن يجرد من سواره .. بل انى سأسرقه بنفسى ..

ـ ولكن هذا سيعرضك ولا محالة للسجن ياسيدتي !!

ـ ان الوصول اليه سهل ميسور .. فهو موضوع فى درج مكتب عادى فى الطابق الارضى .. انه لا يثق بأجهزة التنبيه من الخطر لانه شديد الاعتداد بنفسه .. ولكن مهلا .. فسأنتقم منه .. نعم .. سأجعله يدفع ثمن قسوته ووحشيته غاليا .

وأشاحت بوجهها الى الناحية الأخرى .. وشرعت تبكى بحرقة .

ونظر لوبين الى الرجل الفرنسى نظرة ذات مغزى .. فأومأ هذا برأسه وأغلق الباب .

وانطلقت السيارة فى طريقها .. ولم تلبث أن انحدرت فى شارع ريجنت فاضطجع لوبين فى مجلسه ، وترك الفتاة

لبكائها .. فقد كان يعلم ان الدموع مذهبة للغضب . مهدئة من الانفعال النفسي .

وحين اقتربت السيارة من سانت جيمس وود . كفت الفتاة عن البكاء .. واستعادت شيئا من هدوئها .. فجففت عينيها . واخرجت علبة المساحيق من حقيبتها . وجعلت تطلي وجهها وشفتيها بعناية على ضوء مصباح السيارة الداخلي .

وفيما كانت السيارة تهدىء من سرعتها . قالت للوبين :

ـ لا ريب انك تعتقد انني حمقاء . ولعلي كذلك . ولكني اؤكد لك ان احدا لا يستطيع ان يدرك الحقيقة .

فقال لوبين : هذا لا يهمني .

ووقفت السيارة .. فمال لوبين جانبا ليفتح الباب .. فلفحت انفاسها وجهه .. ولما كان لوبين رجلا يحب دائما ان تختم مغامراته اجمل ختام .. فقد رفع وجهه .. وقبلها فوق شفتيها في حركة سريعة .. ثم ضحك برقة . ووثب من السيارة .

ومرت الفتاة من امامه .. وشرعت ترتقي الدرج دون ان تلتفت خلفها ..

وعاد لوبين ادراجه الى المطعم . وهناك وجد باتريشيا وروجر في انتظاره بصبر وجلد .

واما البارون فكان قد غادر المكان منذ لحظة وجيزة .

ونظر روجر الى رئيسه نظرة تنطوي على الحسد . ثم قال : لقد رأيتك تغادر المكان برفقة الفاتنة الشقراء . فكيف بحق السماء استطعت ان تظفر بصداقتها ؟

وابتسمت باتريشيا . وسألت :

ـ لعلها مغامرة غرامية جديدة .

وأردف روجر : ينبغي ان تلزم جانب الحذر مع امثال

هذا البارون .. فقد يأتيك اثنان من اصدقائه ذات يوم ويدعونك لمقابلته في حدائق هايدبارك في فجر اليوم التالي .

فابتسم لوبين . وسكب لنفسه قدحا جديدا من الشمبانيا .. ثم مال الى الخلف في مقعده .

ومن فوق حافة كأسه .. نظر لوبين الى جاره الفرنسي .. وانحنى كلاهما للآخر .

وبعد هنيهة نادى الفرنسي الخادم .. وطالبه بقائمة الحساب .. ثم تهيأ للانصراف .. فنظر لوبين الى رفيقيه نظرة ذات مغزى من عينيه الخاملتين . ثم قال :

ـ هلما بنا ..

وانطلقوا في هدوء الى ساحة بيكاديللي حيث يقع منزله .. وهناك قبل باتريشيا .

وقال : ايتها السيدة .. انى وروجر معتزمان مراقبة القمر عند شلالات وارنجتون .

* * *

وبعد بضع دقائق بلغ الصديقان حظيرة السيارات التي يضع فيها لوبين سيارته .

ولم ينبس احدهما ببنت شفة واتخذ لوبين مكانه امام عجلة القيادة .. وجلس الآخر بجانبه .

وادار لوبين محرك السيارة . ثم اطلقها في هدوء الى حدائق هايدبارك ..

وقال روجر : لعلنا ذاهبان الى كامبون !

فغمغم لوبين . اصبت .. فقد طالما رددها البارون فون دورتغن في احاديثه ..

وما هي الا دقائق حتى بلغا المنزل الذى اتخذ منه البارون مقرا له .. وكان منزلا منعزلا ، مشيدا على النمط القوطي . تحيط به حديقة غناء فسيحة الجوانب .. ينهض

رواية العدد القادم

الجاسوس الأعمى

قصة بوليسية حافلة بالمفاجآت

بطلها اللص الظريف

ارسين لوبين

للكاتب الفرنسي الكبير

موريس لبلان

«احجز نسختك من الآن»

على جوانبها الاربعة سور مرتفع ينتهي بحراب مذببة .

واوقف لوبين سيارته على قيد عشرين ياردة من المنزل . ثم وثب الى عرض الطريق . واجال بصره هنا وهناك حتى اذا استوثق من ان الشارع خال وليس به اثر لمخلوق قال لروجو :

ـ ادر السيارة ياروجو .. وتظاهر بانك تصلح الآلة من خلل اصابها فاذا سمعت اية حركة غير عادية فاقفز الى داخلها وتهيأ لاطلاقها باقصى سرعة عندما اوافيك . فمن الخطر ان يقدم الانسان على اقتحام منزل غريب قبل ان يتعرف على طبيعة المكان سلفا .. ولكن لن يهدأ لى بال او استطيع النوم هذه الليلة ما لم اظفر بسوار شارلمان .

فقال روجو باصرار :

ـ لا احسبك تبغي الدخول بمفردك ؟

وهم بمغادرة السيارة . فامسكه لوبين من كتفه .. وقال : بل سادخل منفردا يا صديقي . فما بي من حاجة اليك الآن .. ثم لنفرض انك رافقتني الى الداخل فمن ذا يقود السيارة اذا هم البارون بمطاردتنا ؟

فاسقط في يد روجو .. واعجزته الحجة والنقاش كعادته .. ولعله تميز تلك اللهجة الآمرة التي تحدث بها لوبين .. والتي لم تكن تحتمل معارضة او رفضا .

وابتسم لوبين .. وعرك اذن روجو برفق .. ثم انطلق في سبيله بخطى سريعة مطمئنة .. وقد ترك مساعده واقفا في مكانه . مشدوها . فاغرا فاه .

❋ ❋ ❋

كانت الابواب الحديدية الكبيرة المؤدية الى الحديقة مغلقة .. وقد اكتشف لوبين هذه الحقيقة بمجرد اللمسة الاولى .. فتراجع الى الخلف بضع خطوات .. ثم تقدم من

السور عدواً ، ووثب فى الهــواء .. وتعلق بأصابعه فى اعلا السور .. وبحركة بهلوانية سريعة اعتلاه .. وتخطى الحراب الحديدية بحذر .

وحانت منه التفاتة الى المنزل .. فرأى شبحا اسود يبرز من خلال الظلام .. بجانب نافــذة فى الطابق الارضى .. ثم سار بحذر وهــدوء وسرعة فى ممشى صغير يؤدى الى دغل كثيف من أشجار الغاب .

ووثب لوبين الى الحديقة فوق أطراف اصابعه .. وتمهل هنيهة ريثما يلثم الجزء الاسفل من وجهه بمنديل اخرجه من جيبه .. وقد بدت فى عينيه نظرة استياء وغضب .. اذ تحقق من ان هناك شخصا آخر قد تقدمه الى العمل الذى جاء الليلة من اجله .

ولكنه هز رأسه هزة الارتياح لوصوله فى الوقت المناسب .

وسار لوبين لصق الجدار صوب البقعة التى رأى الشبح الاسود يختفى عندها مستخفا بمقدرة هذا الغريم على اخفاء حركاته .

وفجأة .. سمع وقع خطوات خلفه .. فدار على عقبيه فى حركة سريعة واستجمع كل قوته وكال لمهاجمه لكمة كان فيها فصل الخطاب .

حدث ذلك كله فى بضع ثوان ودون جلبة ومن ثم اخرج لوبين مصباحا كهربائيا من جيبه .. وسلط اشعته على وجه الرجل الملقى عند قدميه . فالفاه مقنعا .. فانتزع القناع . وشد ما كانت دهشته حين الفى نفسه يحدق فى وجه ذلك الرجل الفرنسى الذى كان يجلس الى النضــد المجــاور فى المطعم . والذى عدا خلف السيارة ليعيد القرط الى الفتاة .

واطفأ لوبين المصباح على عجل .. واستوى واقفا .. وقد انبعث من بين شفتيه صفير خافت .. دلالة على فرط

دهشته .. ولم يلبث الصفير أن انقطع وافترت شفتاه عن ابتسامة .

وتهيأ للعمل .. فتقدم من اقرب نافذة .. وراح يتحسس موضع القبض بحد مديته الرفيع .. وما انقضت ثلاث ثوان حتى فتحت النافذة .

وتسلقها لوبين بخفة القط . وادلى ساقيه الى الداخل واستقرتا فوق مكتب البارون .

وكانت ادراج المكتب مغلقة ، فاخــذ لوبين آلة حادة من الصلب من جيبه . وما زال يعالج القفل حتى فتحه ..

وصوب لوبين اشعة مصباحه الكهربائى الصغير الى جوف الدرج .. فكان أول ما وقع عليه بصره سوارا ثقيلا أصفر اللون .. انعكست اشعة المصبــاح فوق مئات الأحجــار الكريمة التى كانت تحليــه . فلمعت ببريق خاطف يبهر الابصار .

والتقط لوبين السوار .. ووضعــه فى جيبــه .. وكان السوار من ثقل الوزن بحيث اختل توازن معطفه .

وفى تلك اللحظة اضيئت انوار الغرفة .

فدار لوبين على عقبيه فى حركة سريعة .

وراح يحملق فى المسدس الذى كان يحمله البارون فون دورتفن .. ثم انتقل ببصره الى الرجلين اللذين كانا يقفان الى جانبيه وقد ارتسمت على وجهيهما سيمان الشر والغدر .

وقال البارون بابتهاج غير مصطنع :

ــ اذن فأنت هو (الثعلب) ؟

فركض قلب لوبين بين ضلوعه ، وحمد الله لأنه لم ينزع المنديل الذى كان يحجب ملامح وجهه .

وتقدم رفيقا البارون من لوبين ، وقد كشرا عن انيابهما .. واخرج احدهما من جيبه اصفادا حديدية .

فقال لوبين :

— ما انا بالثعلب ، ولكنى اسقف محترم لدير مبجل .!!

وبسط يديه لمهاجميه مذعنا .. صاغرا .. وعندئذ تقدم احدهما منه .. وفى اللحظة التى حجبه الرجل بجسمه عن مسدس البارون .. اقتنص الفرصة واستجمع قوته .. ولطم الرجل فوق ام راسه .. ثم ارتد خطوتين .. ووثب من النافذة فى حركة رشيقة اشبه بحركة الغواصين .

وفى لمحة خاطفة .. استوى لوبين واقفا على قدميه .

وفى اللحظة التالية عبر الممر المؤدى الى جدار الحديقة .. فلما صار على قيد بضع اقدام منه . وثب فى الهواء .. وتعلق بقمة الجدار .. ثم تسلقه فى خفة الهرة .

ومزق السكون فى تلك اللحظة صفير حاد صادر من خلفه .. ورأى لوبين صديقه روجر يسرع الى مكانه امام عجلة القيادة .

ووثب لوبين الى الطريق .. وتمهل ريثما مرت السيارة من امامه .. فتعلق بها .. أخذ مجلسه بجانب السائق .

وقال لصديقه : اطلقها باقصى سرعة .. فاغلب الظن انهم سيخفون الى مطاردتنا فى التو .

فسأله روجو : ماذا حدث ؟

وفك لوبين المنديل الذى كان يضعه فوق وجهه . وابتسم . ثم أجاب :

— يخيل الى انهم كانوا يتوقعون زيارة ليلية من شخص معين .

واذا انصرمت عشرون دقيقة فى سير سريع مستمر ، ولم ير لوبين اثرا لمطارديهما اقتنع بانهما اصبحا فى مأمن من السقوط فى ايدى البارون واعوانه .

وأخذ لوبين السوار الثقيل من جيبه ، وأنعم النظر اليه فى ضوء مصباح السيارة الداخلى .. فتهللت اساريره ، وبدا

عليه الارتياح .

وقال بلهجة الظافر :

— هذه هى الحلية الوحيدة التى افلتت من الثعلب .

* * *

كان لوبين يتناول طعام الافطار فى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى ، عندما دخل عليه روجر . والابتسامة العريضة تعلو شفتيه ..

وكان روجر يحمل احدى صحف الصباح . فقدمها للوبين وهو يقول فى مرح :

— بها مقال يهمك يالوبين !!

فصب لوبين لنفسه قدحا من القهوة ، وسأل :

— احقا ؟! لعله تصريح خطير لمجلس الوزراء ؟!

فقال روجو ضاحكا :

— اقراه .. وعندئذ تقتنع مثلى بأن كثيرين ارتكبوا ليلة امس اخطاء لا تغتفر .

فالتقط لوبين الصحيفة . فرأى فى صفحتها الاولى مقالا طويلا على عامودين يعلوه عنوان مثير :

« القبض على الثعلب »

« ادارة المباحث الجنائية تهب من سباتها »

« عمل باهر فى كنسنجتون »

« وقع فى الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء امس حادث عظيم يدل على مقدرة رجال المباحث الجنائية . فقد القى البوليس القبض على جين بابتيسل ارفيل المشهور باسم « الثعلب » . سارق الجواهر المعروف .

« وسيحاكم ارفيل صباح اليوم امام محكمة البوليس . متهما بارتكاب سلسلة من جرائم السرقة .. تقدر قيمة المسروقات فيها بخمسين الفا من الجنيهات .

« ولا يفوتنا هنا أن ننوه بمقدرة رجال المباحث الجنائية

فى مطاردة اللصوص والعابثين بالقانون . فقد استعان المفتش هندرسون بسيدة من اعضاء القسم المخصوص للايقاع باللص.

« وكانت خطة المفتش هندرسون تقتضى تنكر معاونته وتدبير قصة سوار شرلمان . ونصب شرك للايقاع بالثعلب .

« ويعزى نجاح الخطة الى المعاونة الصادقة التى بذلتها الصحافة .. فهى لم تتوان عن الاعلان عن سوار شرلمان .. والمغالاة فى تقدير قيمته المادية والتاريخية .

« وقد نجحت مساعدة مستر هندرسون فى القيام بدورها نجاحا باهرا جديرا بالاعجاب والتقدير .

« وقد نشرنا أمس أن سوار شارلمان عبارة عن دائرة من الذهب الخالص محلاة بعدد كبير من الاحجار الكريمة الكبيرة القيمة .. والحقيقة ان السوار مصنوع من الرصاص .. ومغطى بطبقة رقيقة من الذهب .. واما الاحجار التى تزينه فمزيفة لا قيمة لها .. ولكن المفتش هندرسون احتاط سلفا للأمر .. فأخذ على صانعيها تعهدا بالا يبوحوا بسرها لكائن من كان .. » .

* * *

وقرأ لوبين بقية المقال باهتمام عظيم .. فلما فرغ من القراءة بقى صامتا برهة طويلة .. ثم قال باسما :

ــ حسنا .. يغلب على ظنى ان البارون المزيف لعب دوره بمنتهى البراعة . فأساء معاملة زميلته فى قلم المباحث . حتى أبكاها ولفت انظار الثعلب اليها .. وكان من نتيجة هذا التدبير الباهر ان اغرت فتاة البوليس اللص المشهور على الاقدام على سرقة السوار الثمين فسقط فى الكمين المعد له .

وضحك لوبين .. واستطرد :

ــ مهما يكن .. لا اظن ان مغازلة فتيات البوليس . وتقبيلهن امر تبيحه القوانين !

« تمت »